بسم الله الرحمن الرحيم

السنة ٧
صدى
الهجرة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الفكر والإبداع

العنوان: صدى المجتبى عليه السلام
الناشر: العتبة العبَّاسية المقدسة – قسم الشُّؤون الفكرية والثَّقافية .
الإعداد والتَّحرير والمراجعة اللغوية: شعبة الفكر والإبداع- وحدة الإصدارات.
التَّصميم : حسين عقيل - حسين شمران.
الطَّبعة: الأولى .
المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع
عدد النسخ: ٢٠٠٠ .
العراق – كربلاء المقدسة .
شهر رمضان المبارك- ١٤٣٥هـ.
حقوق النَّشر والتَّوزيع محفوظة للعتبة العبَّاسية المقدسة.

المحتويات

١١ شذرات من حياة الإمام أبي محمّد الحسن بن علي المجتبى عليه السلام

٢١ الإمام الحسن عليه السلام القائد الحكيم

٢٧ صور مشرقة من حياة الإمام الحسن عليه السلام

٣١ من أدوار الإمام الحسن عليه السلام

٤١ تأملات في صفات الإمام الحسن عليه السلام

٥٥ مفاهيم خاطئة عن الإمام المجتبى عليه السلام

٦٥ قيادة الإمام الحسن عليه السلام

٧٥ حيثيات صلح الإمام الحسن عليه السلام

٨٥ دروس وعبر من صلح الإمام الحسن عليه السلام

٩١ التسليم لأهل البيت عليهم السلام سر النجاة

١٠٣ شعراء أهل البيت عليهم السلام

فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ
مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ
أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا
وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيمُ

سورة آل عمران الآية: ٦١.

في البدء

للإمام أبي محمد الحسن ﷺ تأريخ مشرق، حافل بأروع صفحات البطولة والجهاد، وسيرة نديّة تنبض بالعدل والتّقوى، وتتدفّق بالقابليات الفذّة، والنزعات الخيرة، وتلتقي بها سجاحة الخلق، وأصالة الرّأي، وعمق التّفكير، وقد أجمع المترجمون له أنّه من أحلم النّاس، وأقدرهم على كظم الغيظ، والصّبر على الأذى والمكروه، فما عرف من سيرته أنّه قابل مسيئاً بإساءته، ولا جازى مذنباً بذنبه، وإنّما كان يغدق عليهم بالإحسان ويقابلهم بالمعروف، شأنه شأن جدّه الرسول الأعظم محمد ﷺ الذي وسع الناس بأخلاقه وحلمه. وقد كان من أبرز رجال الفكر في سداد الرأي وصواب التّفكير، وقد تجلى ذلك في صلحه مع معاوية، وتجنبه من فتح باب الحرب.

وأجمع الرّواة أنّه كان أندى الناس كفّاً، وأوصلهم لعباد الله -تعالى-، وأعطفهم على الفقراء والمحرومين حتى لقّب بكريم أهل البيت ﷺ مع أنّهم أصول الكرم ومعدن السّخاء والمعروف، وكانت تترى عليه وفود من الفقراء والمحتاجين فيفيض عليهم ببِرّه، ومعروفه وينقذهم بوافر عطاياه من ذلّ السؤال والحاجة إلى السّعة والبسط في العيش، والاستغناء عمّا في أيدي الناس.

واتفقت كلمة المؤرخين أنّه كان أعبد أهل زمانه، وأتقاهم وأكثرهم عبادة، وخوفاً من الله -سبحانه-، وقد حجّ بيت الله الحرام خمساً وعشرين حجة، وأنّ النّجائب تقاد بين يديه، وقد عمل جميع الوسائل التي يتقرّب بها إلى الله -عزّ وجل-، وتجرّد عن لهو الحياة، ونبذ جميع زخارفها.

إنّ سيرة الإمام ﷺ في جميع صورها من أروع سير العظماء والمصلحين الذين تعتزّ بهم الأمّة في جميع مجالاتها، ويكفيها خلوداً أنّها شابهت سيرة النبي ﷺ وحكت كريم طباعه وسجاياه.

-قدس سره-

الحسن المجتبى

شذرات من حياة
الإمام أبي محمّد الحسن بن علي المجتبى عليه السلام

السيد عصام الخرسان/ خطيب حسيني

هو ثاني أئمّة أهل البيت الطاهر، وأوّل السبطين، وأحد سيّدي شباب أهل الجنّة، وريحانة رسول الله ﷺ، وأحد الخمسة من أصحاب الكساء، أُمّه فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيّدة نساء العالمين.

ولد في المدينة ليلة النّصف من شهر رمضان سنة ثلاث أو اثنتين من الهجرة، وهو أوّل أولاد علي وفاطمة -عليهما السلام-.

نسب كان عليه من شمس الضحى *** نور ومن فلق الصباح عمودا

وروي عن أنس بن مالك قال: لم يكن أحد أشبه برسول الله ﷺ من الحسن بن علي -عليهما السلام-(١).

فلمّا ولد الحسن قالت فاطمة لعلي: سمّه، فقال: «ما كنت لأسبق باسمه رسول الله ﷺ»، فجاء النبيّ ﷺ فأخرج إليه فقال: «اللّهمّ إنّي أعيذه بك وولده من الشيطان الرجيم، وأذّن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى.

أشهر ألقابه: التّقي والزكي والسبط.

أمّا علمه: فيكفي أنّه كان يجلس في مسجد رسول الله ﷺ ويجتمع الناس حوله فيتكلّم بما يشفي غليل السائل ويقطع حجج المجادلين. من ذلك ما رواه الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي في تفسير الوسيط: أنّ رجلاً دخل الى مسجد المدينة فوجد شخصاً يحدّث عن رسول الله ﷺ والناس حوله مجتمعون فجاء إليه الرجل، قال: أخبرني عن {شاهد ومشهود} ؟ فقال: نعم، أمّا الشاهد فيوم الجمعة والمشهود فيوم عرفة.

فتجاوزه الى آخر غيره يحدّث في المسجد، سأله عن {شاهد ومشهود} قال: أمّا الشاهد فيوم الجمعة، وأمّا المشهود يوم النحر.

قال: فتجاوزه الى ثالث، غلام كأنّ وجهه الدينار، وهو يحدّث في المسجد، فسأله عن شاهد ومشهود، فقال: «نعم، أمّا الشاهد فرسول الله ﷺ وأمّا المشهود فيوم القيامة، أما سمعته عزّ وجلّ يقول: {يا أَيُّها النبِيُّ إنّا أرسَلناكَ شاهِداً وَمُبشِّراً وَنَذِيراً}(٢)، وقال

تعالى: {ذلِكَ يَومٌ مَجمَوعٌ لَهُ النّاسُ وذلِكَ يَومٌ مَشهُودٌ}»(٣).

فسأل عن الأوّل، فقالوا: ابن عباس، وسأل عن الثّاني، فقالوا: ابن عمر، وسأل عن الثّالث، فقالوا: الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.(٤)

وأمّا زهده: فيكفي في ذلك ما نقله الحافظ أبو نعيم في حليته بسنده أنه عليه السلام قال: «إنّي لأستحي من ربّي أن ألقاه ولم أمشِ إلى بيته» فمشى عشرين مرّة من المدينة الى مكّة على قدميه.

وروي عن الحافظ أبي نعيم في حليته أيضاً: أنّه عليه السلام خرج من ماله مرّتين، وقاسم الله تعالى ثلاث مرّات ماله وتصدّق به.

وكان عليه السلام من أزهد الناس في الدنيا ولذّاتها، عارفاً بغرورها وآفاتها، وكثيراً ما كان عليه السلام يتمثّل بهذا البيت شعراً:

يا أهل لذّات دنيا لا بقاء لها *** إنّ اغتراراً بظلٍّ زائلٍ حَمِقُ(٥)

وأمّا حلمه: فقد روى ابن خلّكان عن ابن عائشة: إنّ رجلاً من أهل الشام قال: دخلت المدينة _على ساكنها أفضل الصلاة والسلام_ فرأيت رجلاً راكباً على بغلة لم أرَ أحسن وجهاً ولا سمتاً ولا ثوباً ولا دابة منه، فمال قلبي إليه، فسألت عنه فقيل: هذا الحسن بن علي بن أبي طالب، فامتلأ قلبي له بغضاً وحسدت علياً أن يكون له ابن مثله، فصرت إليه وقلت له: أأنت ابن علي بن أبي طالب؟ قال: «أحسبك غريباً»؟ قلت: أجل، قال: «مل بنا فإن احتجت إلى منزل أنزلناك أو إلى مال آتيناك أو إلى حاجة عاونّاك» قال: فانصرفت عنه وما على الأرض أحبّ إليّ منه، وما فكرت فيما صنع وصنعت إلاّ شكرته وخزيت نفسي(٦).

وأمّا إمامته: فيكفي في ذلك ما صرّح به النبيّ صلى الله عليه وآله من قوله: «هذان ابناي إمامان قاما أو قعدا...».

وروت الشيعة بطرقهم عن سليم بن قيس الهلالي قال: شهدت أمير المؤمنين عليه السلام حين

أوصى الى ابنه الحسن عليه السلام وأشهد على وصيته الحسين عليه السلام ومحمّداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثمّ دفع إليه الكتاب والسلاح وقال له: «يا بني إنّه أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أوصي إليك، وأدفع إليك كتبي وسلاحي، كما أوصى إليّ ودفع إليّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك اذا حضرك الموت أن تدفعها الى أخيك الحسين، ثمّ أقبل على ابنه الحسين عليه السلام فقال: وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعها الى ابنك هذا، ثمّ أخذ بيد علي بن الحسين وقال: وأمرك رسول الله أن تدفعها الى ابنك محمّد بن علي فاقرأه من رسول الله ومنّي السلام»(٧).

روى أبو الفرج الاصفهاني: أنّه خطب الحسن بن علي بعد وفاة أمير المؤمنين علي عليه السلام وقال: «قد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأوّلون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجّهه برايته فيكتنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه، ولقد توفّي في هذه الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم، ولقد توفّي فيها يوشع بن نون وصي موسى، وما خلف صفراء ولا بيضاء إلاّ سبعمائة درهم بقية من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله».

ثمّ خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه.

ثمّ قال: «أيّها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّد صلى الله عليه وآله أنا ابن البشير: أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي الى الله عزّ وجلّ بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، والذين افترض الله مودّتهم في كتابه إذ يقول: {ومَن يَقتَرِف حَسَنَةً نَزِد لَهُ حُسناً}(٨) فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت».

قال أبو مخنف عن رجاله: ثمّ قام ابن عباس بين يديه فدعا الناس الى بيعته فاستجابوا له وقالوا: ما أحبّه إلينا وحقّه بالخلافة، فبايعوه(٩).

وقال المفيد: كانت بيعته يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، فرتب العمال وأمر الأمراء، وأنفذ عبد الله بن العباس الى البصرة، ونظر في الأُمور(١٠).

وقال أبو الفرج الاصفهاني: وكان أوّل شيء أحدثه الحسن أنّه زاد في المقاتلة مائة مائة، وقد كان عليعليه السلام فعل ذلك يوم الجمل، وهو فعله يوم الاستخلاف، فتبعه الخلفاء بعد ذلك(١١).

قال المفيد: فلمّا بلغ معاوية وفاة أمير المؤمنين وبيعة الناس ابنه الحسن، دسّ رجلاً من حمير الى الكوفة، ورجلاً من بني القين الى البصرة ليكتبا إليه بالأخبار ويفسدا على الحسنعليه السلام الأمور، فعرف ذلك الحسنعليه السلام فأمر باستخراج الحميري من عند لحام في الكوفة فأخرج وأمر بضرب عنقه. وكتب الى البصرة باستخراج القيني من بني سليم فأخرج وضربت عنقه(١٢).

ثمّ إنّه استمرت المراسلات(١٣) بين الحسنعليه السلام ومعاوية وانجرّت الى حوادث مريرة الى أن أدّت الى الصلح واضطرّ الى التنازل عن الخلافة لصالح معاوية، فعقدا صلحاً وإليك صورته.

صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان، صالحه على أن يسلّم إليه ولاية المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنّة رسول الله، وليس لمعاوية أن يعهد الى أحد من بعده عهداً، على أنّ الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى في شامهم ويمنهم وعراقهم وحجازهم.

وعلى أنّ أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا، وعلى معاوية بذلك عهد الله وميثاقه.

وعلى أن لا يبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت رسول الله ﷺ غائلة سوء سرّاً وجهراً، ولا يخيف أحداً في أفق من الآفاق. شهد عليه بذلك فلان وفلان، وكفى بالله شهيداً(١٤).

ولما تمّ الصلح صعد معاوية المنبر وقال في خطبته: إنّي والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، إنّكم لتفعلون ذلك، ولكنّي قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون. ألا وإنّي كنت منّيت الحسن وأعطيته أشياءً وجميعها تحت قدميّ هاتين لا أفي بشيء منها له(١٥).

شهادته:

لما نقض معاوية عهده مع الإمام الحسن عليه السلام وما كان ذلك بغريب على رجل أبوه أبو سفيان وأمّه هند، وهو طليق ابن طلقاء -عمد الى أخذ البيعة ليزيد ولده- المشهور بمجونه وتهتكه وزندقته- وما كان شيء أثقل عليه من أمر الحسن بن علي-عليهما السلام- فدسّ إليه السّمّ، فاستشهد بسببه.

فقد روي: أنّ معاوية أرسل الى ابنة الأشعث (وكانت تحت الحسن عليه السلام) إنّي مزوّجكِ بيزيد ابني على أن تَسمّي الحسن بن علي. وبعث إليها بمائة ألف درهم، فقبلت وسمّت الحسن، فسوّغها المال ولم يزوّجها منه(١٦).

فلمّا دنا موته-صلوات الله عليه- أوصى لأخيه الحسين عليه السلام وقال: «إذا قضيت نحبي غسّلني وكفّني واحملني على سريري الى قبر جدّي رسول الله ﷺ ثمّ ردّني الى قبر جدّتي فاطمة بنت أسد فادفنّي هناك، وبالله أقسم عليك أن تهريق في أمري محجمة دم.

فلمّا حملوه الى روضة رسول الله ﷺ لم يشكّ مروان ومن معه من بني أميّة أنّهم سيدفنونه عند جدّه رسول الله ﷺ فتجمّعوا له ولبسوا السلاح، ولحقتهم عائشة على بغل وهي تقول: ما لي ولكم تريدون أن تُدخلوا بيتي من لا أحب!! وجعل مروان يقول: يا ربّ هيجاء هي خير من دعةٍ، أيُدفن عثمان في أقصى المدينة ويدفن الحسن مع

النبيّ. وكادت الفتنة تقع بين بني هاشم وبني أميّة. ولأجل وصيّة الحسن عليه السلام مضوا به الى البقيع ودفنوه عند جدّته فاطمة بنت أسد(١٧).

واستشهد الإمام الحسن عليه السلام وله من العمر ٤٧ عاماً وكانت سنة استشهاده سنة ٥٠ من الهجرة النبويّة. والعجيب أنّ مروان بن الحكم حمل سريره الى البقيع فقال له الحسين: «أتحمل سريره!! أما والله لقد كنت تجرّعه الغيظ» فقال مروان: إنّي كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال(١٨).

ولما بلغ معاوية موت الحسن عليه السلام سجد وسجد من حوله وكبّر وكبّروا معه، ذكره الزمخشري في ربيع الأبرار وابن عبد البرّ في الاستيعاب وغيرهما. فقال بعض الشعراء:

أصبح اليوم ابن هند شامتاً *** ظاهر النخوة إذ مات الحسن

يا ابن هند إن تذق كأس الردى *** تكُ في الدهر كشيء لم يكن

لست بالباقي فلا تشمت به *** كل حيّ للمنايا مرتهن(١٩)

هذه لمحة عن حياة الإمام الحسن عليه السلام المشحونة بالحوادث المريرة.

الهوامش:

(١) الفصول المهمة: ابن الصباغ المالكي (م ٨٥٥ هجري) المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف _ ١٣٨١ هجري/ ص١٥٢.

(٢) سورة الأحزاب / ٤٥.

(٣) سورة هود / ١٠٣.

(٤) بحار الأنوار: العلاّمة محمد باقر المجلسي (م ١١١٠ هجري) مؤسسة الوفاء، بيروت _ ١٤٠٣ هجري/ ج١ / ص١٣.

(٥) ابن الصباغ المالكي: المصدر السابق/ ص ١٥٤.

(٦) وفيات الأعيان: ابن خلّكان: احمد بن محمد (٦٠٨ _ ٦٨١ هجري) منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة _ ١٣٦٤ هجري/ ج٢ / ص ٦٨.

(٧) ومن أراد الوقوف على نصوص إمامته فعليه أن يرجع الى الكافي: محمد بن يعقوب الكليني (م ٣٢٩ هجري) دار الكتب الإسلامية، طهران _ ١٣٩٧ هجري/ ج١ / ص ٢٩٧.

(٨) سورة الشورى / ٢٣.

(٩) _ مقاتل الطالبيين: أبو الفرج الاصفهاني (٢٨٤ _ ٣٥٦ هجري) مؤسسة دار الكتاب، قم المقدسة/ ص٥٢.

(١٠) الإرشاد: المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (م ٤١٣ هجري) قم المقدسة _ ١٤٠٢ هجري/ / ص ١٨٨.

(١١) أبو الفرج الاصفهاني/ المصدر السابق/ ص ٥٥.

(١٢) المفيد/ المصدر السابق/ ص ١٨٨.

(١٣) ومن أراد الوقوف عليها فليرجع الى مقاتل الطالبيين من ص ٥٣ الى ص٧٢، وبالإمعان فيها وما أظهر أصحابه من التخاذل، يتضح سرّ صلح الإمام وتنازله عن

الخلافة فلم يصالح إلاّ أنّه أتم الحجّة عليهم، ومن أراد التفصيل فليرجع الى صلح الحسن للشيخ راضي آل ياسين.

(١٤) ابن صباغ المالكي: المصدر السابق/ ص١٦٣.

(١٥) المفيد: المصدر السابق/ ص١٩١.

(١٦) أبو الفرج الاصفهاني/ المصدر السابق/ ص ٧٣.

(١٧) المفيد: المصدر السابق/ ص ١٩٣.

(١٨) أبو الفرج الاصفهاني/ المصدر السابق/ ص ٧٦.

(١٩) في رحاب أئمّة أهل البيت عليهم السلام: السيد محسن الأمين العاملي (م ١٣٧١ هجري) دار التعارف، بيروت _ ١٤٠٠ هجري/ ص٤٣.

(٢٠) تحف العقول: الحرّاني: الحسن بن علي (من أعلام القرن الرابع الهجري) مؤسسة الأعلمي، بيروت _ ١٣٩٤ هجري/ ص ٢٢٥ _ ٢٣٦.

رسالة المجتبى

الحسن المجتبى

الإمام الحسن عليه السلام القائد الحكيم

رضي المنصور/ كاتب

كيف تقرأ حياة أهل البيت ﷺ السياسية؟ وهل أنّ أهل البيت ﷺ لهم ربط بالسياسة؟ هذا من الأسئلة المهمّة، والتي تحتاج الى وقفة تاريخية، نتأمل فيها، ولعلّنا نحتاج للإجابة على هذا السؤال الى تأليف كتاب كامل يُعنى بهذا الجانب الهام في حياتهم ﷺ.

غير أنّي أشير الى بعض النّقاط الهامّة في هذا الصدد وهي بمثابة (بوّابة) لقراءة حياة الأئمة ﷺ.

أولاً/ لا للقراءة الجزئية ..

هناك من يقرأ حياة أهل البيت ﷺ قراءة جزئية، يأخذ جانباً واحداً ويهمل بقية الجوانب، وهكذا نرى البعض يصف الإمام الحسين ﷺ بالثّائر، بينما يصف الإمام الحسن ﷺ بالقاعد، في حين أنّنا نقرأ مقولة رسول الله -صلى الله عليه وآله- **"الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا"**.

نحن نقول أنّ حياة الأئمة هي حياة شاملة لكل أبعاد الحياة، ولا يحق لنا أن نجزّئها؛ لأنّ في هذه العملية تشويه لصورة الأئمة ﷺ.

ثانياً/ لا لقراءة الأهواء والمصالح ..

علينا حين قراءة حياة أهل البيت ﷺ أن لا نفسّر مواقفهم بما يتماشى مع مصالحنا الشخصية، وأهوائنا، ولهذا نجد البعض حين يقرأ حياة الإمام الحسن ﷺ فإنّه يتّخذ الجانب الذي يبرّر موقفه تجاه بعض القضايا، وهذا من الجنايات الكبرى في حق أهل البيت ﷺ.

ثالثاً/ نعم للقراءة الواعية

يجب أن تقرأ حياة أهل البيت ﷺ قراءة واعية، لا قراءة ميّتة، قراءة تتّصل بواقعنا، وتسهم في رسم خطوط النجاة، لا أن تقرأ الجانب الذي لا يمتّ الى واقعنا بأيّ صلة، كأن نتعمّق في قضايا جزئية كرسم خاتمه، وماذا تفيد هذه القراءة ؟ هل ساعدت في رفع (التخلف) وساهمت في بناء الشّخصية الواعية ؟!

رابعاً/ أهل البيت عليهم السلام.. حركة تكاملية

هناك حركة تكاملية في حياة أهل البيت عليهم السلام فكل إمام جاء ليمهّد الطريق للإمام الآخر، فهم عليهم السلام يتحرّكون وفق خطة واحدة، ومنهجية واحدة، وعلينا حين نقرأ حياتهم عليهم السلام أن ندرك هذه النّقطة جيداً.

الإمام الحسن عليه السلام .. قراءة واعية

كيف تحرّك الإمام الحسن عليه السلام وهل كانت حركته وفق خطّة معينة ومنهجية مسبقة وماذا كان يهدف من حركته ألم يجد الإمام عليه السلام طريقة أخرى لكي يتغلّب فيها على معاوية بعيداً عن كلّ هذه الأحداث؟

وللإجابة على هذا التساؤل الهام أقول:

الإمام عليه السلام لم يتحرك من محض إرادته وأهدافه الذّاتية وإنّما كان عمله والذي يعد من أعمال أعظم العظماء في علم (السياسة) بالمصطلح الحديث.

كان عمله منطلقاً من قاعدة عامّة يعتمد عليها الأئمة عليهم السلام في تحرّكاتهم الرّسالية، وهي النظر الى ما تقتضيه مصلحة الإسلام العامَّة فلقد رأى الإمام عليه السلام أنّ مصلحة الأمّة الإسلامية تقتضي أن يصالح وإن لم يفعل فإنّه يضع الأمّة في حرب خاسرة ويقضي على أنفاسها الأخيرة .

ومن جهة أخرى تدل على عظمته هي ما يمتلكه من سعة في الأفق والتنبّؤ بالمستقبل أو ما يسمّى بالمصطلح القرآني (البصيرة).

لقد ربط الإمام عليه السلام الأحداث مع بعضها البعض وخرج بنتيجة مفادها الصلح وهو يعلم بأنّه بعد الصلح سيكون منتصراً وكان كما توقّع يقف معاوية (رجل الخداع) ويعلنها كلمة: " ألا وأني كنت شرطت لقوم شروطاً ووعدتهم عِدات ومنيتهم أماني فإنّ كل ما هناك تحت قدمي هاتين" وانكشف القناع واتضحت معالم شخصية معاوية المعادية للإسلام، والإمام عليه السلام كان يعلم كل هذا وأنّ ما حدث إنّما هو علمه؛ لأنّه رجل

ذو بصيرة نافذة أضف الى هذا وهو (امتحان القائد لأمّته) هل صحيح لدى الأمّة ولاء، أم أنّها مجرّد شعارات تتداولها الألسن وترفعها الأعلام؟

إنّ القائد (الإمام الحسن) حينما أعلن وأصدر قرار الصلح إنّما هو قرار واجب التّنفيذ لا أن يأتي أحدهم ويقول له: (يا مذلّ المؤمنين) وآخر (يطعنه بخنجر).

وفي الأخير إنّ الإمام الحسن عليه السلام هو رجل ذو سياسة ورؤية بعيدة لمجريات الأحداث سيرته تنمّ عن مدى وعيه لما يقتضيه الظرف.

إنّنا اليوم في أمسّ الحاجة الى رجل كشخصية الإمام عليه السلام شخصية عالمة عارفة أين ومتى تصنع القرار الحكيم الذي يخدم الإسلام وأهله.

الحسن بن علي المجتبى عليه السلام

الحسن المجتبى

صور مشرقة من حياة الإمام الحسن عليه السلام

أحمد عبود الكريطي/ صحفي

هل نحن بحاجة الى عرض مثل هذه الصور ؟

في الواقع إنّ المجتمعات الواعية هي التي تبحث عن تاريخ عظمائها وتسعى لنشره في صفوف أبنائها إيماناً منها أنّ هذا القائد قدّم شيئاً لمجتمعه ومِن حقّه أن ينشر اسمه وترفع رايته وعدم القيام بمثل هذا العمل يُعدّ جفاءً لمثل هذا القائد.

لهذا فإنّه من الضروري استنطاق كتب التاريخ، وتسجيل أجمل وأزهى الصور عن حياة الإمام الحسن عليه السلام وكل صور حياته جميلة، ومحاولة تطبيق هذه الصور في حياتنا لا أن نتحدث بها فقط.

العـــــابد

ليست العبادة أن تصلّي وتصوم أو تدعو وإنّما العبادة الحقيقية هي أن تعي هدف العبادة وأن تعرف ربّك حقّ معرفته لتؤدّي العبادة على أصولها، لهذا لا يساورنا العجب والاستغراب حينما نقرأ أنّ الإمام الحسن عليه السلام حجّ خمساً وعشرين حجة ماشياً، وإذا توضّأ كان يصفرّ لونه وترتعد فرائصه وإذا قام للصلاة اصفر لونه وارتعدت فرائصه أيضاً.

المعـــطاء

الحياة أخذ وعطاء وكلاهما متلازمان بل كلّما كان المرء معطاء كلّما سما في هذه الحياة أمّا لماذا نجد أناساً سِمَتهم العطاء فهذا يعود الى احتقارهم للمادة؛ ولأنّها -سمة العطاء- وسيلة لنيل رضا الله -تعالى- أما من يتشبّث بالمال فإنّه مقيّد بقيود الهوى والخلود الى الأرض .

لقد جاء رجل للإمام عليه السلام وكان يستحي من السؤال أمام الناظرين فطلب منه الإمام عليه السلام أن يكتب حاجته في رقعة ويرفعها إليه وعندما نظر إليها ضاعفها إليه وأعطاه في تواضع كبير، وهو القائل:

نحن أنـــــاس نوالنا خضل يرتع في الرجـــــاء والأمل

تجود قبل السـؤال أنفسنا خوفاً على مـاء وجـه من يسل

قمة التّواضع

كلّما ازداد المرء علماً وإيماناً بالله -تعالى- كلّما ازداد تواضعاً لعباد الله أمّا المتكبّر على الخلق فإنّه متكبّر على الله -تعالى- وذلك لذلّة في نفسه، وحقارة في ذاته.

لقد مرّ الإمام عليه السلام على مجموعة من الفقراء يأكلون كسيرات من الخبز فدعوه لتناول الطّعام معهم فنزل وأكل معهم وهو يقول: "إنّ الله لا يحب المتكبّرين" ثمّ دعاهم الى ضيافته وكساهم . وهكذا يكون التّواضع وهكذا هو الإمام الحسن عليه السلام.

وعموماً إنّ حياة الإمام الحسن عليه السلام مليئة بالمواقف الخالدة التي ينبغي علينا أن نأخذ منها الدّروس والعبر.

يا حسين

الحسن المجتبى

من أدوار الإمام الحسن عليه السلام

السيد أحمد الحسيني/ باحث إسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

قال رسول الله ﷺ: **"الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا"**(١).

هناك كلمة جميلة رائعة نسمعها بين حين وآخر، وهي أنّ ثورة الإمام الحسين -عليه السلام- إنَّما هي صدى لصلح الإمام الحسن -صلوات الله عليه-، فالدور العظيم الذي قام به الإمام الحسن عليه السلام كان تمهيداً لثورة الإمام الحسين عليه السلام ولو لم يكن في حياة الإمام المجتبى عليه السلام إلا هذه المهمّة لكفاه عظمة وعلماً وسياسة وحنكة، ولكن كيف تمكّن الإمام المجتبى عليه السلام بأن يمهّد لثورة سيّد الشهداء الحسين عليه السلام ؟

من أهم ما قام به الإمام المجتبى عليه السلام في هذا المجال مهمّة عظيمة للغاية، والكثير من النّاس لا يلتفتون لهذه المهمة، ولولا هذا الأمر لما كانت ثورة ولاندرس الإسلام كله، ألا وهي مهمة الحفاظ على حياة الإمام الحسين عليه السلام ولولاها لما كانت ثورة؛ لأنّ قائد الثورة إذا لم يكن فلا ثورة قطعاً.

الإمام المجتبى -عليه السلام- بتصرّفاته وحنكته الإلهية التي كانت هبة من الله -عز وجل- تمكّن من الحفاظ على حياة الإمام الحسين عليه السلام مع العلم بأنّ الإمام سيد الشهداء عليه السلام كان يعيش في زمن معاوية، الذي صفى جسدياً كل أعدائه، كبار أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام اغتالهم معاوية بطريق أو بآخر، رُشيد الهجري، حجر بن عدي وأصحابه، مِيثم التمار، سعيد بن جبير، عبد الله بن يحيى الحضرمي، وعلى رأسهم سيد شباب أهل الجنة الإمام المجتبى عليه السلام كلّهم اغتالهم معاوية، في هذه الحالة وفي هذه الظروف الصعبة كيف نجا الإمام الحسين عليه السلام من اغتيال معاوية؟

هذه مهمّة قام بها الإمام المجتبى عليه السلام حفاظاً على حياة الإمام الحسين، ومع العلم بأنّ معاوية كان رجلاً يعدّ من الدّواهي في مجال المكر السّيّء، مع ذلك أستطاع الإمام

المجتبى عليه السلام إنقاذ الإمام الحسين عليه السلام من أن يغتاله معاوية، وهذه مهمّة غاية في الأهمّيّة.

والسؤال المهم في هذا المجال كيف تمكّن الإمام المجتبى أن ينقذ الإمام الحسين عليه السلام من سطوة معاوية؟

الإمام المجتبى عليه السلام حاول بمختلف الطّرق أن يبعد الإمام الحسين عليه السلام عن أنظار الأعداء، وتصدّى هو بنفسه لكل السّهام التي تأتي من قبل معاوية ومن قبل بني أمية، وكنماذج بسيطة أذكر لكم كيف أنّ الإمام المجتبى عليه السلام تصدّى للقضايا الحسّاسة بنفسه، وأبعد الإمام الحسين -عليه السلام- عنها.

أوّلاً: الخطابات كانت كثيرة في زمن الإمام المجتبى عليه السلام، الإمام المجتبى خَطب خُطباً كثيرة، وأصحاب الإمام المجتبى عليه السلام خطبوا في زمن الإمام المجتبى بكثرة، ولكن في كل هذه الفترة لا نجد لسيد الشهداء عليه السلام خطاباً واحداً؛ كي لا يشعر الأعداء بأنّ سيّد الشهداء يشكّل خطراً حقيقياً عليهم، ولذلك بعد استشهاد الإمام المجتبى عليه السلام بفترة طويلة طلب بنو أمية من معاوية بأن يصعد سيّد الشهداء عليه السلام على المنبر؛ لكي يسمعوا خطابه إذ لم يكونوا قد استمعوا إلى خطاب الإمام الحسين عليه السلام ولا مرة واحدة، هكذا أبعد الإمام الحسن أخاه الإمام الحسين -عليه السلام- عن نظر الأعداء .

ثانياً: الظّرف التي عاشه الإمام الحسن والإمام الحسين -عليهما السلام- في زمن معاوية كان ظرفاً صعباً جداً وحسّاساً للغاية، ولذلك كانت هناك مناظرات واحتجاجات قوية وحادّة جداً وبكثرة بين الطرفين، في هذه الظروف وفي ذلك العصر بين الإمام المجتبى وأصحابه من جهة ومعاوية وأصحابه من جهة أخرى، عشرات المناظرات تصدى لها الإمام المجتبى عليه السلام ولكن في هذه الفترة لا نجد لسيد الشهداء عليه السلام مناظرات إلا يسيرة جدّاً وقصيرة ونادرة، الإمام المجتبى -عليه السلام- كان يتصدّى لهذه المناظرات بنفسه لكي ينقم الأعداء على الإمام الحسن عليه السلام، ولا يلتفت الأعداء إلى سيّد الشّهداء عليه السلام، تصدى هو للضربة ولنقمة الأعداء لكي يبعد أخاه الإمام الحسين

ﷺ، ومن أراد الاطلاع على هذه المناظرات فليراجع كتاب الاحتجاج للطبرسي-رحمه الله-.

ثالثاً: قضية الصّلح التي لولاها لمات الإسلام، تصدّى لتنفيذها الإمام المجتبى بنفسه، إنّ هذه القضية كانت قضية حسّاسة للغاية، كما أوجدت الإشكالات الكثيرة والانتقادات الحادة لأجل هذا أبعد الإمام الحسن ﷺ الإمام الحسين من هذه القضية تماماً؛ لكي لا ترد الإشكالات على سيّد الشّهداء، ولكي لا تتوجّه الانتقادات إليه، لكي لا يتمكن أعداءهم أن يجدوا ثغرة بزعمهم لسيد الشهداء الإمام الحسين ﷺ كان بعيداً تماماً عن هذه القضية من الناحية الظاهرية، وهناك أمور كثيرة وأعمال عديدة نهض بها الإمام المجتبى -عليه السلام- لإبعاد سيّد الشهداء عن أنظار الأعداء، لأجل أن لا يشعروا بأنّ الإمام الحسين ﷺ يشكّل عليهم خطراً حقيقياً على مقامهم وعروشهم.

رابعاً: من أعظم ما قام به الإمام المجتبى -عليه السلام- هي تلك القضية التي ربّما نمرّ عليها مروراً سريعاً، وربّما لا نلتفت إلى أهمّيّتها ولطالما سمعنا بوصيّة الإمام المجتبى بأن يدفنوه بجنب جدّه رسول الله ﷺ، وإن مُنعوا من ذلك أوصى الإمام ﷺ بأن لا تهراق في تشييعه وفي دفنه محجمة دم، هذه الوصية العظيمة للغاية التي قد لا نلتفت إلى أهمّيتها، والتي ربما تعد وصية عادية بالنظر الأوّلي، ولكنها وصيّة مهمّة جدّاً، ولأنقل لك جزءاً لترى جسامة الموقف الذي كان يعيشه أهل البيت في ذلك الحين: **" هذا ما أوصى به الحسن بن علي إلى أخيه الحسين بن علي: أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنه يعبده حق عبادته، لا شريك له في الملك، ولا وليّ له من الذّل، وإنّه خلق كل شيء فقدره تقديراً، وإنه أولى من عبد، وأحق من حمد، من أطاعه رشد، ومن عصاه غوى، ومن تاب إليه اهتدى. فإنّي أوصيك يا حسين بمن خلفت من أهلي وولدي وأهل بيتك أن تصفح عن مسيئهم، وتقبل من محسنهم، وتكون لهم خلفاً ووالداً، وأن تدفنني مع رسول الله ﷺ فإنّي أحق به وببيته، ممن أدخل بيته بغير إذنه، ولا**

كتاب جاءهم من بعده، قال الله فيما أنزله على نبيه ﷺ في كتابه: "يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم "فو الله ما أذن لهم في الدخول عليه في حياته بغير إذنه، ولا جاءهم الإذن في ذلك من بعد وفاته، ونحن مأذون لنا في التصرف فيما ورثناه من بعده. فإن أبت عليك الامرأة فأنشدك الله بالقرابة التي قرب الله عز وجل منك والرحم الماسة من رسول الله ﷺ أن تهريق في محجمة من دم، حتى نلقى رسول الله ﷺ فنختصم إليه ونخبره بما كان من الناس إلينا بعده، ثم قبض عليه السلام". (٢)

لاحظوا الإمام المجتبى عليه السلام يقسم على أخيه بقسمين مهمين فأنشدك بالقرابة التي قرب الله -عز وجل- منك، والرحم الماسة من رسول الله ﷺ يقسم على سيّد الشهداء عليه السلام بأن لا تهراق في تشييعه وفي دفنه محجمة من دم لماذا؟

هذه الوصية لو كانت وصية عادية لما كانت بهذا التأكيد والإصرار والقسم، فماذا كان يبتغي الإمام الحسن المجتبى -عليه السلام- من وراء هذه الوصية؟

لو راجعنا بعض أحوال معاوية، وراجعنا الظروف المحيطة بهذه القضية، أقصد قضية تشييع الإمام المجتبى عليه السلام لوجدنا عدّة قرائن على أنّ المنع من دفن الإمام المجتبى عند رسول الله ﷺ كان بتخطيط من معاوية، وكان يريد بذلك أن تقع حرباً وقتالاً بين بني هاشم وبين بني أمية، وعلى فرض أن لا يكون لمعاوية في هذا المنع دخلاً فلا شكّ من أنّ معاوية لم يكن يفوّت هذه الفرصة لتوجيه ضربة قاصمة لبني هاشم لو كان قد وقع القتال بين بني هاشم وبين بني أمية، فلا شكّ ولا ريب أنّ معاوية كان يستفيد منها لتوجيه ضربة قوية جداً لبني هاشم، وكان له المستمسك في ذلك، وكانت له الحجة بأنّ بني هاشم قتلوا مجموعة من المسلمين، وبذلك يستطيع أن يقتل بني هاشم، وربّما حتى سيّد الشهداء وكان يذهب دم الحسين عليه السلام هدراً في هذا المجال، وعلى أقل التقادير أنّه كان يتمكّن من قتل مجموعة من بني هاشم من أصحاب سيّد الشّهداء في يوم كربلاء بهذه الحجة، فمعاوية كان قويّاً في تأليب الرّأي العام في هذه القضايا ضد بني هاشم، فالإمام

المجتبى عليه السلام بهذه الوصية الصغيرة في التاريخ، العظيمة عند الله -عز وجل- تمكّن من أن يحول بين وقوع هذه الكارثة الحقيقية التي ربما كانت تقضي على قضية كربلاء تماماً من خلال قضائها على حياة قائد الثورة وهو سيد الشهداء عليه السلام.

هذه المهمة التي نفّذها الإمام المجتبى عليه السلام مهمة إبقاء حياة الإمام الحسين عليه السلام، مهمّة التّصدّي للضربات والسّهام والاغتيال من أجل الحفاظ على أخيه ليوم عاشوراء الذي قلع جذور بني أمية وجذوره الحكومات الفاسدة من الحكم هذه مهمة غاية في الأهمية، يغفل عنها ربما كثير من الناس، وهذا ما صنعه الإمام المجتبى عليه السلام في حياته من خلال أعمال عديدة: ركّز كل طاقاته على ذلك، والعظيم في الأمر أنّ نفس هذه الطّريقة في العمل أمام الدّاهية معاوية انتهجتها سيدة نساء العالمين -صلوات الله وسلامه عليها- أمام أولئك الطغاة الذين منعوا حقها وحق بعلها أمير المؤمنين عليه السلام آنذاك؛ لأنّ أولئك أيضاً كانوا يتمتعون بالدّهاء الشديد، فالزّهراء -سلام الله عليها- وكإشارة سريعة صنعت نفس الصنيع الذي صنعه الإمام المجتبى -صلوات الله عليه- ذهبت لتخطب في المسجد، وتخطب بالنساء، وقاطعت الحُكم مقاطعة تامّة حتى من الكلام مع كبارهم، وأنكرت عليهم، وذهبت إلى بيوت المهاجرين والأنصار لتستنجدهم للدفاع عنها وعن حقّها، وبكت ليلها ونهارها، وهكذا وجّهت جميع الأنظار من الأعداء إلى نفسها، وإلّا فإنّ الأنظار والضّربات كانت موجّهة بالدّرجة الأولى إلى أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأنّه كان صاحب الحق -صلوات الله وسلامه عليه- فأوّل ما يراه أعداؤهم هو أمير المؤمنين ووجود أمير المؤمنين بالمجتمع كان خطراً حقيقياً عليهم؛ لأنّ الناس كانوا يروه الخليفة الحقيقي لرسول الله صلى الله عليه وآله إذ بايعوه في غدير خمٍّ، معه فوجود أمير المؤمنين كان يشكّل خطراً عليهم، ومن الطّبيعي أنّ أوّل ما يلتفتون إليه ويفكّرون في تصفيته جسدياً، ولكنّ الزّهراء -سلام الله عليها- بأعمالها العظيمة تصدّت بنفسها للضّربات والسّهام وللقتل لكي تحافظ على حياة أمير المؤمنين -عليه السلام-، وهذا من أهمّ ما قامت به الزهراء

-سلام الله عليها- في هذا المجال، الدفاع عن أهمّ شخص موجود على وجه الكرة الأرضية والقتل دونه، وهذه القضية نجدها في حياة العديد من حياة الأئمة في مواجهة الدّواهي العظيمة الذين كانوا يعيشون في زمنهم .

فدرسنا هذا اليوم من الإمام المجتبى ﷺ، أن نقف في الخط الأمامي لكي تبقى العقائد سالمة بعيدة عن أيادي الأعداء، وأن نصمد أمام الضّربات التي تُوجّه بطبيعة الحال إلى العقيدة، وأن نحول بينهم وبين المس بالعقيدة كما حال الإمام الحسن -عليه السلام بينهم وبين المس بسيد الشهداء ﷺ، وكما حالت سيدة نساء العالمين -عليها السلام- بين الأعداء وبين المس بأمير المؤمنين ﷺ.

في عصرنا هذا العقيدة هي أهم شيء؛ لأنّ الأعداء يريدون أن يؤلّبوا الحرب على العقيدة فيلزم أن نحول بينهم وبين أهدافهم الدنيئة، وأن نجعل أنفسنا صدّاً لهجماتهم ولضرباتهم، نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يوفّقنا بالتّأسّي بهم، وأن يوفقنا للاقتداء بهم في كل المجالات وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

الهوامش:

١-علل الشرائع/ الشيخ الصدوق/ دار المرتضى/ الطبعة الأولى/ بيروت لبنان/ ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م/ ١/ ٢١١.

٢ـ بحار الأنوار: العلاّمة محمد باقر المجلسي (م ١١١٠ هجري) مؤسسة الوفاء، بيروت ـ ١٤٠٣ هجري/ ج ٤٤ / ص ١٥١ .

رمضان

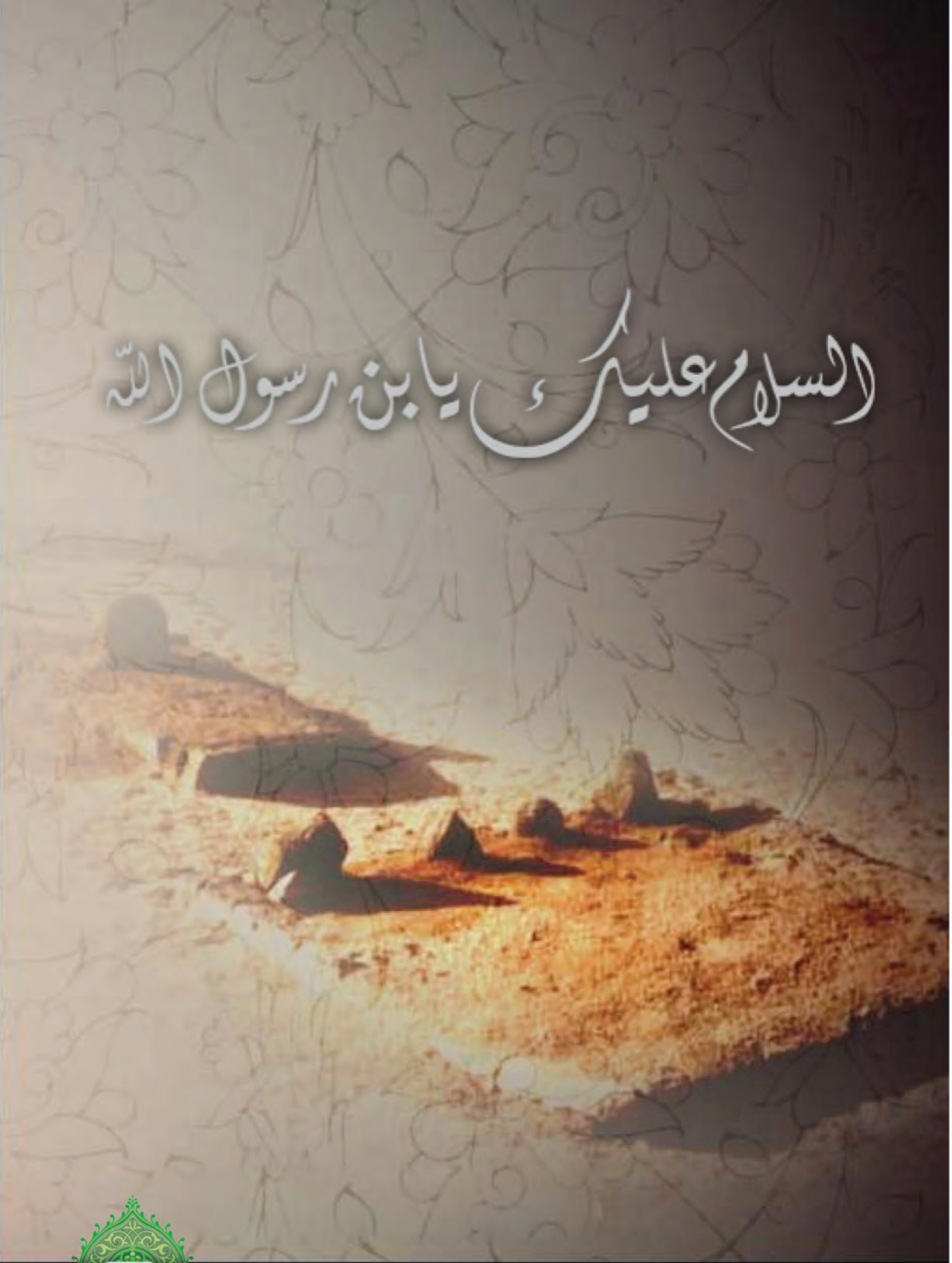
السلام عليك يا ابن رسول الله

الحسن المجتبى

الحسن المجتبى

تأملات في صفات الإمام الحسن عليه السلام

محمد رضا الأسدي/ صحفي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين .

قال الله الحكيم في محكم كتابه الكريم: "وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ"(١).

عندما استتب الحكم لمعاوية تكلّم معاوية فقال: "أيّها النّاس هذا الحسن بن علي وابن فاطمة رآنا للخلافة أهلاً ولم يرَ نفسه لها أهلاً، وقد أتانا ليبايع طوعاً، ثم قال: قم يا حسن، فقام الحسن عليه السلام فخطب خطبة طويلة بعد أن حمد الله-سبحانه وأثنى عليه- وذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصلى عليه وذكر بعض مقاماته قال:

إنّا أهل بيت أكرمنا الله بالإسلام واختارنا واصطفانا واجتبانا فأذهب عنّا الرّجس وطهّرنا تطهيراً والرجس هو الشك، فلا نشك في الله الحق ودينه أبداً، وطهّرنا من كل أفن وغيّة مخلصين إلى آدم نعمة منه، لم يفترق الناس قط فرقتين إلا جعلنا الله في خيرهما، فأدّت الأمور وأفضت الدهور إلى أن بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم للنبوة، واختاره للرسالة، وأنزل عليه كتاباً، ثم أمره بالدّعاء إلى الله عز وجل فكان أبي عليه السلام أوّل من استجاب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وأول من آمن وصدّق الله ورسوله، وقد قال الله تعالى في كتابه المنزل على نبيه المرسل: (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) فرسول الله الذي على بينة من ربه، وأبي الذي يتلوه وهو شاهد منه...(ثم ذكر فضائل عديدة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وفضائل أهل البيت-صلوات الله عليهم-) وبعد ذلك قال: أيها الناس إنّي لو قمت حولاً فحولاً أذكر الذي أعطانا الله عز وجل وخصّنا به من الفضل في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم لم أحصه. وأنا ابن النبي النذير البشير والسراج المنير، الذي جعله الله رحمة للعالمين، وأبي علي عليه السلام ولي المؤمنين، وشبيه هارون. وإنّ معاوية بن صخر زعم أنّي رأيته للخلافة أهلاً، ولم أرَ نفسي لها أهلاً، فكذب معاوية، وأيم الله لأنا أولى النّاس

بالنّاس في كتاب الله وعلى لسان رسول الله ﷺ غير أنا لمنزل أهل البيت مخيفين مظلومين مضطهدين منذ قُبض رسول الله، فالله بيننا وبين من ظلمنا حقّنا، ونزل على رقابنا، وحمل النّاس على أكتافنا، ومنعنا سهمنا في كتاب الله من الفيء والغنائم، ومنع أمّنا فاطمة -عليها السلام- إرثها من أبيها، ... أقسم بالله قسماً تألّياً لو أنّ النّاس سمعوا قول الله ورسوله لأعطتهم السماء قطرها، والأرض بركتها، ولما اختلف في هذه الأمّة سيفان، ولأكلوها خضراء خضرة إلى يوم القيامة، وإذا ما طمعت يا معاوية فيها، ولكنها لما أخرجت سالفاً من معدنها وزحزحت عن قواعدها تنازعتها قريش بينها وترامتها كترامي الكرة حتى طمعت فيها أنت يا معاوية وأصحابك من بعدك. وقد قال رسول الله ﷺ: (ما ولّت أمّة أمرها رجلاً قط وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفالاً حتى يرجعوا إلى ما تركوا) ... أيّها الناس اسمعوا وعوا واتقوا الله وراجعوا وهيهات منكم الرجعة إلى الحق وقد صارعكم النكوص وخامركم الطغيان والجحود، أنلزمكموها وأنتم لها كارهون، والسلام على من اتبع الهدى. قال: فقال معاوية: والله ما نزل الحسن حتى أظلمّت عليّ الأرض، وهممت أن أبطش به، ثم علمت أنّ الاغضاء أقرب إلى العافية"(٢).

من الواضح جداً أنّ الإمام عليه السلام لم يذكر فضائله وفضائل أبيه أمير المؤمنين- عليه السلام- افتخاراً على الناس، وإنّما ذكر تلك الفضائل إظهاراً للحق، وانتصاراً لإرادة الله التّشريعية، وهذا أمر واجب، إذ من الواجبات إظهار الحق، خصوصاً إذا كان ذلك في أمر الولاية، عن أبي جعفر عليه السلام قال:" **بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم ينادِ بشيء كما نودي بالولاية**"(٣) فإظهار الحق في موضوع الولاية من الواجبات بل من أوجب الواجبات.

الإمام يذكر فضائله امتثالاً لهذا الأمر الإلهي، ولو أنّ الإمام المجتبى وهو أبلغ البلغاء، وقد ورث البلاغة والفصاحة من أبيه ومن أمّه، لو أنّه يتحدث سنة كاملة

بلياليها وأيّامها باستمرار من دون انقطاع لم يتمكن أن يحصي هذا الجانب من فضائلهم، فضائلهم في كتاب الله وعلى لسان رسول الله، فإذا كان الأمر كذلك فما عساني أن أقول بالنسبة للإمام الحسن المسموم؟

في سنة كاملة الإمام الحسن لا يتمكن أن يحصي هذا الجانب، وأنا الإنسان العادي وأمثالي ماذا يكتب عن هذه القمة.

الإمام ﷺ عصمه الله -عزّ وجل- من الذنوب من جميعها، ولم تكن هذه العصمة غاية العصمة بل كانت للإمام عصمة أعلى من هذه، وهي العصمة من الذنوب ومن المكروهات يعني ليس فقط لم يرتكب الإمام ﷺ في كل حياته ذنباً واحداً بل لم يرتكب مكروهاً واحداً، وهذه العصمة ليست أعلى درجات العصمة، بل للإمام عصمة أعلى وهي العصمة الكبرى أي بالإضافة إلى عصمته من الأخطاء وترك الذنوب وترك المكروهات لم يفكّر في كل حياته بارتكاب مكروه، وربّما العديد يزعم أنّ هذه أعلى درجات العصمة للأئمة ﷺ، ولكن هناك درجة من العصمة للأئمة ﷺ أعلى من درجة العصمة الاصطلاحية، وهي أنّ قلب الإمام وعاء لمشيئة الله -عز وجل-، هذه الدّرجة أعلى من العصمة الكبرى وهي عصمة الإمام من ارتكاب الصحيح المفضول، وبمعنى آخر إذا كان هناك طريق صحيح، وطريق آخر لكنه أفضل كان الإمام يختار دائماً الطريق الأفضل، يعني لم يرتكب في كل حياته الصحيح المفضول لماذا؟

لأنّ الله -عز وجل- لا يشاء إلا ما هو الأفضل، وقلب الإمام وعاء لمشيئة الله، ما شاءه الله-تبارك وتعالى- الإمام يشأه، وما لم يشأ الله -عزّ وجل- لم يشأه الإمام.

قلوبهم أوعية لمشيئة الله هذا التعبير ورد في بعض الرّوايات الصحيحة والمعتبرة.

يعني منذ أن وُلد الإمام والى اليوم الذي استشهد فيه، الإمام في كل حركاته وسكناته، في كل كلمة كان يقولها كان يقول الأفضل، يختار أفضل كلمة يحبها الله -عز وجل-، ويختار أفضل عمل يحبه الله -عز وجل- مع وجود الأفضل، هذا معنى أنّ قلب الإمام

وعاء لمشيئة الله، وكيف لا يكون كذلك وهو ابن العصمتين، لا أقول هو ابن المعصومين، أقول: هو ابن العصمتين أمير المؤمنين -عليه الصلاة والسلام- لم يكن فقط معصوماً وإنّما كان هو العصمة، وهذا يدل عليه قول النبي ﷺ: **"عليٌّ مع الحق والحق مع علي يدور معه أينما دار"** وسيدة نساء العالمين لم تكن فقط معصومة بل كانت هي العصمة ويدل عليه قول النبي ﷺ: **"إنّ الله يرضى لرضا فاطمة ويغضب لغضبها"**، ويعني ذلك أنّ الإمام أمير المؤمنين كان هو الحق، وهو الملاك للحق، سيدة نساء العالمين كانت تمثّل رضا الله -عزّ وجل-، وهي مثال العصمة.

إذا تأمّل الإنسان في هذين الرّوايتين يستنتج هذا المعنى أنّ أمير المؤمنين وسيّدة نساء العالمين كانا هما الملاك والحد للعصمة.

إذا كان الأب أمير المؤمنين وإذا كانت الأم سيدة نساء العالمين فما عسى أن يكون الإمام المجتبى أو يكون سيّد الشّهداء -صلوات الله وسلامه عليهم-، كل العجب والعجب أنّ البعض يستغرب بل ربما ينكر عندما يسمع بعض المعاجز للإمام المجتبى أو لغيره من الأئمة -صلوات الله عليهم- ينكرها، وعندما يسمع أنّ الإمام المجتبى -عليه الصلاة والسلام- بدعائه اخضرّت شجرة مرة واحدة وأثمرت فوراً، مع أنّ هذه الأمور من أوليات القدرة التي أعطاها الله -عزّ وجل- لأهل البيت عليهم السلام.

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: **"إنّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفا، وإنّما عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، ثم تناول السّرير بيده ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، وعندنا نحن من الاسم اثنين وسبعين حرفاً، وحرف عند الله استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".(٤)**

عيسى بن مريم أعطي من الاسم يملك حرفين فقط، وبهذين الحرفين كان يحيي الموتى فكيف نتعجب إذا رأينا أو سمعنا معاجز ممن أعطي من الاسم الأعظم اثنين

وسبعين حرفاً، هذه الأمور من أوليات تلك القدرة التي أعطاها الله -عزّ وجل- لأهل البيت عليهم السلام، بل من الأمور البديهية والسهلة جداً عليهم، إذا كنّا لا نستوعب هذه الأمور والمعاجز علينا أن لا ننكرها، وعلى الإنسان أن يتأمّل قبل إنكار فضائلهم ومعاجزهم.

وإما في بُعد صفاتهم النفسية رغم أنّ ما نذكر من الصّفات النفسية العالية في أهل البيت ليست في مستوى أهل البيت -عليهم الصلاة والسلام-، أهل البيت أعظم من هذه الصفات بالجملة وبما لا قياس بينهم وبين تلك الصفات، ولكن هذه الصفات أيضاً وجدت بأهل البيت.

في بُعد شجاعة الإمام -عليه الصلاة والسلام-، كثير من الناس يتصورون أنّه كان مفقود الإرادة، أو شبه مفقود، ويتصور البعض أيضاً أنّ الشّجاعة هي حمل السيف والقتال، يكفينا من شجاعة الإمام المجتبى ما ذكرته في بداية البحث أنّ الإمام المجتبى عليه السلام في حضور معاوية وفي حضور المئات من أعوان معاوية وأنصار معاوية والمستفيدين من معاوية يصرّح بأنّ معاوية كذّاب، والإمام عليه السلام يعرف جيداً من هو معاوية، يعرف جيداً معاوية السّفاك للدماء من دون حساب، الإمام المجتبى يعرف ذلك جيداً مع ذلك عندما يرى المجال مفتوحاً لقول الحق يقوله ولو عرضه المجتبى يعرف أنّ كلمة واحدة من الممكن أن تُعرّضه للقتل.

تصوروا مثلاً أنّ شخصاً يواجه طاغية العراق ويقول هذه الكلمات له وهو يعلم أنّ طاغية العراق من الممكن أن يقضي عليه ويقتله شر قتله، ولكن بالرغم من ذلك يقول كلمة الحق، كم يحتاج هذا الأمر من الشّجاعة، شجاعة استثنائية الإمام كان يقول كلمة الحق بالرغم من بطش معاوية.

في مجلس آخر أشار الإمام المجتبى إلى معاوية وقال هذا الطاغية وهو جالس على المنبر، في مجلس آخر لعن الإمام المجتبى معاوية، في جلسة أخرى خاصة اجتمع معاوية مع جمع من ألدّ أعداء الإمام المجتبى: هو، وأخوه، وعمر بن العاص، والوليد بن عقبة،

ومروان بن الحكم ، وعمر بن عثمان، وجمع ممن كانوا يتعطّشون إلى دم الإمام المجتبى -عليه الصلاة والسلام- طلبوا الإمام المجتبى عليه السلام، والإمام جاءهم لوحده لم يكن مع الإمام أحد من أقربائه، أو أصدقائه، أو أصحابه، ولم يكن مع الإمام سيف أو رمح، وكان أولئك معهم رماحهم وسيوفهم وأصحابهم وهددوا الإمام بالقتل صراحة، تصوّروا الموقف إنسان لوحده من دون أي سلاح بين جمع من ألدّ أعدائه وفي أياديهم السلاح ويهددونه بالقتل، الإمام استصغر قدرهم وأبدى مساوئهم، وذكر أنسابهم اللئيمة بَدء يذكر أشياء فيهم وفي صفاتهم النّفسية، وفي أعمالهم المحرّمة في حضور معاوية.

وفي حضور أخو معاوية وكان اسمه يزيد ذكر الإمام: أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعن أبا سفيان في سبعة مواضع، ولعن معاوية في مواضع عديدة، وذكر تلك المواضع ثم تعرّض لواحد واحد منهم ولم يخرج الإمام من عندهم حتى أظلمّت الدنيا في أعينهم، ألا تحتاج هذه الأمور إلى شجاعة استثنائية، وأن يستخفّ الإنسان بالموت.

أما في جوده فقد صنع الإمام صنعاً في مجال الجود لم يسجل التاريخ نظيراً له، فقد قاسم الله -عز وجل- ثلاث مرات، قسم أمواله نصفين أبقى نصف أمواله لنفسه وأعطى نصف أمواله في سبيل الله، وكانت أموال الإمام كثيرة، الإمام كان يملك الآلاف المؤلّفة كان يملك أراضي شاسعة، وبساتين كثيرة، وبيوت عديدة، قاسمها الله -عز وجل- ثلاث مرات أي تبرع بنصف أمواله، والأعجب من هذا خرج من أمواله كلها مرتين.

في بُعد هيبة الإمام عليه السلام، إذا وجدتم أنساناً رؤوفاً عطوفاً حليماً لا تأخذكم هيبة من هذا الشخص، الإمام رغم هذه الصفات حتى باعتراف أعدائه كان أحسنهم وأرأفهم مع ذلك كانت له هيبة استثنائية، الناس عندما كانوا يريدون أن يحدثوه بحديث يهابونه، والأعجب أنّه ذكر أنّ سيّد الشّهداء وهو من هو في عظمته كان أحياناً يريد أن يسأل الإمام سؤالاً فيجله عن السؤال، كانت للإمام هيبة استثنائية.

في مجال العمل السياسي نتمكن أن نقول: أنّ الإمام المجتبى -عليه الصلاة والسلام-

أبدى أعظم تكتيك سياسي في التاريخ، الإمام المجتبى صالح معاوية، أبدى انعطافاً سياسياً في ذلك الظرف، ولكن في نفس الوقت جعل يمهد الأرضية لثورة سيّد الشهداء، جعل يمهد لتلك الثورة التي زلزلزت عروش بني أمية.

هذه جوانب من حياة الإمام -عليه الصلاة والسلام-، وكلّما تأمّلنا وحقّقنا في هذه الجوانب اتضح لنا أنّ الإمام -عليه الصلاة والسلام- كان متفوّقاً ليس فقط على العظماء وليس فقط على جميع الأنبياء والأوصياء باستثناء رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام بل كان متفوقاً حتى على بقية الأئمة -عليهم الصلاة والسلام- غير أنّنا لا نستوعب واقع هذه الأمور، فإذا تأمّلنا فيه نرى تفوّقاً عجيباً للإمام المجتبى عليه السلام مع أنّ الإمام ذِكره منسيّ أو شبه منسي مع الأسف، وكلّما حقّقنا وبحثنا نرى العجز بأن نوضح صورة الإمام المجتبى -عليه الصلاة والسلام-، ولكن هناك من لم يعجز عن وصف الإمام المجتبى عليه السلام، أذكر حديثين باختصار في وصف الإمام المجتبى من شخص يعرف الإمام المجتبى جيداً.

الحديث الأول: من الإمام نفسه روي أنّه لما فرغ الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام من حرب الجمل عرض له مرض، وحضرت الجمعة فتأخّر عنها، ولم يتمكن من الذهاب إلى المسجد، وقال لابنه الحسن: انطلق يا بني فاجمع بالناس (يعني صلّ بالناس جماعة) فأقبل الحسن عليه السلام إلى المسجد فلمّا استقر على المنبر: حمد الله وأثنى عليه وتشهّد وصلّى على رسول الله جدّه محمد ﷺ ثم قال: **أيّها النّاس إنّ الله اختارنا لنفسه، وارتضانا لدينه، واصطفانا على خلقه، وأنزل علينا كتابه ووحيه، (تأملوا في كلمة علينا) وأيم الله لا ينقصنا أحد من حقنا شيئاً إلا انتقصه الله من حقه في عاجل دنياه وآخرته، ولا يكون علينا دولة إلا كانت لنا العاقبة (إشارة إلى حكومة الإمام صاحب الأمر)، قال -تعالى- (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ)(٥)، تلك الحكومة هي الحكومة الواقعية ولا يكون علينا دولة إلا**

كانت علينا العاقبة "وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ"(٦) ثم نزل فجمع بالناس، وبلغ أباه، فقبّل بين عينيه ثم قال: بأبي وأمي ذرّية بعضها من بعض والله سميع عليم.(٧)"(٨) .

إذا تأمّلنا في هذه الكلمات القصيرة من الإمام المجتبى لا شك إنّنا لا نستوعب كنه هذه الكلمات كما أننا لا نستطيع أن نستوعب كنه الإمام المجتبى، وإنّما الإنسان عندما يتأمل يجد معانٍ عظيمة في كلمات أهل البيت عليهم السلام، عندما يتأمّل الإنسان في قوله عليه السلام إنّ الله اختارنا لنفسه ماذا يعني اختارنا لنفسه؟

عندما يقول: وأنزل علينا كتابه ووحيه، هذه الكلمات تحتاج إلى الوقوف عندها مدّة طويلة لاستخراج دررها وجواهرها التي لا تقدر بثمن بل أين الدرر والجواهر من هذه الكلمات العظيمةً .

حديث آخر عن أشرف خلق الله رسول الله محمد صلى الله عليه وآله الذي هو أعرف بالإمام المجتبى عليه السلام، حيث ورد في حديث مفصل، اذكر مقطعاً منه عن ابن عباس قال: قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالساً ذات يوم إذ أقبل الحسن عليه السلام فلمّا رآه بكى ثم قال: إليّ إليّ يا بني فما زال يُدنيه حتى أجلسه على فخذه اليمنى وساق الحديث إلى أن قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: **وأما الحسن فإنّه ابني، وولدي، ومني، وقرة عيني وضياء قلبي، وثمرة فؤادي، وهو سيّد شباب أهل الجنة، وحجة الله على الأمة أمره أمري، وقوله قولي من تبعه فإنّه منّي، ومن عصاه فليس منّي. وإنّي لما نظرت إليه تذكّرت ما يجري عليه من الذّل بعدي، فلا يزال الأمر به حتى يقتل بالسّم ظلماً وعدواناً فعند ذلك تبكي الملائكة والسبع الشداد لموته، ويبكيه كل شيء حتى الطّير في جو السّماء، والحيتان في جوف الماء من بكاه لم تعم عينه يوم تعمى العيون، ومن حزن عليه لم يحزن قلبه يوم تحزن القلوب، ومن زاره في بقيعه ثبتت قدمه على الصّراط يوم تزلّ فيه الأقدام".(٩)**

إشارات عظيمة من الحديث الشّريف:

- رسول الله صلى الله عليه وآله يصف الإمام الحسن أنّه ابني، وهذه الكلمات لا نحملها فقط

على المحمل المادّي انه ابني مادياً انه ابن بنتي، كلّا فالمعاني أعلى من هذه، النبي لا يتكلم بالمعاني المادية، ويصف بها الإمام الحسن عليه السلام، ابني له معنى أعظم من هذا المعنى المادي.

- ضياء قلب الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله الإمام الحسن الزكي عليه السلام .
- ماذا يقول أولئك الذين تبعوا آخرين ولم يتّبعوا الإمام الحسن عليه السلام؟
- كيف أنّ النبي صلى الله عليه وآله يذكر هذا الثواب العظيم لمن يبكي على الإمام الحسن ولمن زار الإمام الحسن أو لمن زار سيّد الشّهداء -صلوات الله عليهما- أيعقل هذا الثواب العظيم لهذا العمل الصغير من النّاحية الظّاهرية؟

هناك أجوبة عديدة أذكر جواباً واحداً من الأجوبة: إذا كان المعطي هو الكريم المطلق وهو الجواد المطلق وهو الذي لا تنفد خزائنه إذا كان المعطي هو الله -تعالى- وكان المعطى لأجله هو رابع أشرف خلق الله أو خامس أشرف خلق الله الإمام المجتبى عليه السلام أو الإمام سيد الشهداء عليه السلام، إذا كان الأمر كذلك فإذا سمعنا أعظم من هذا فلا نستغرب أن يعطي الله -عز وجل- كل شيء لأهل البيت، يعطي الله الجنة، بل أعلى درجات الجنة، يعطي الله -تعالى- الفردوس لزوار الحسين عليه السلام هذا أمر ليس عجيباً بل أمر ممكن، بل الله -عزّ وجل- يتفضّل أكثر من هذا بكثير الأشياء التي وردت بالرّوايات، الله -عز وجل- ربما أو من المطمئن إليه أنه سيتفضّل أكثر من هذا فلا نستغرب من هذه الروايات بل من أعظم من هذه الروايات.

نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يوفّقنا لزيارة الإمام المجتبى في الدّنيا، وأن يوفّقنا لزيارة سيّد الشّهداء عليه السلام ولزيارة أهل البيت عليهم السلام في الدّنيا، وأن يرزقنا شفاعتهم في الآخرة وجوارهم في الجنة، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

الهوامش:

١- سورة الشورى/ آية :٢٣.

٢ـ بحار الأنوار: العلاّمة محمد باقر المجلسي (م ١١١٠ هجري) مؤسسة الوفاء، بيروت ـ ١٤٠٣ هجري/ ج١٠/ ص١٣٩ـ١٤٥.

٣- الكافي / الكليني/ نشر: دار الكتب الإسلاميّة / صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري / الطبعة السادسة / سنة ١٣٧٥هـ ش / طهران ـ إيران/ ج٢/ ص١٨.

٤- محمد باقر المجلسي/ المصدر السابق/ ج٤ / ص٢١٠ .

٥- سورة القصص/ آية:٥.

٦- سورة ص/ آية:٨٨.

٧- سورة آل عمران/ آية:٣٤.

٨- محمد باقر المجلسي/ المصدر السابق/ ج٤٣/ ص٣٥٥.

٩- المصدر نفسه/ ج ٤٤ / ص ١٤٨ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ

سورة الرحمن/الآيات: ١٩، ٢٢

الإمام
المجتبى

الحسن بن علي المجتبى عليه السلام

الحسن المجتبى

مفاهيم خاطئة عن الإمام المجتبى عليه السلام

السيد هاشم الموسوي/ باحث إسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، واللعن الدّائم على أعدائهم من الأوّلين والآخرين.

كتب الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية: **"من الحسن بن علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان:**

سلام عليكم فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإنّ الله عزّ وجل بعث محمداً صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين، ومنة للمؤمنين توفّاه الله غير مقصر ولا وان، بعد أن أظهر الله به الحق، ومحق به الشر، وخص قريشاً خاصة فقال له "وإنّه لذكر لك ولقومك فلما توفي تنازعت سلطانه العرب، فقالت قريش: نحن قبيلته واسرته وأولياؤه، ولا يحل لكم أن تنازعونا سلطان محمد وحقه، فرأت العرب أنّ القول ما قالت قريش، وأنّ الحجة لهم في ذلك على من نازعهم أمر محمد صلى الله عليه وآله، فأنعمت لهم وسلّمت إليهم. ثم حاججنا نحن قريشاً بمثل ما حاجت به العرب، فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها، إنّهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالإنصاف والاحتجاج، فلمّا صرنا أهل بيت محمد وأولياؤه إلى محاجتهم، وطلب النّصف منهم، باعدونا واستولوا الاجتماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا، فالموعد الله وهو المولى النصير" (١)

سأحاول أن أستخلص بعض الـدّروس فيما يرتبط ببعض المفاهيم والأفكار والاستنتاجات المغلوطة المأخوذة والرّائجة في نفس الوقت من سيرة الإمام المجتبى عليه السلام، وهذه الأخبار راجت حتى في الوسط الشيعي سواء تقرر أحياناً من رجال دين وأحياناً من المثقفين، ويهمني بالدّرجة الأولى الوقوف على الوسط الشيعي وإن كنّا في الحقيقة نأمل دائماً أن ترتفع الشبهات عن الآخرين أيضاً، وأحاول في نفس الوقت أن أذكر بعض الإسقاطات المترتّبة على انتشار مثل هذه المفاهيم في واقعنا اليوم، وإن كنت أعتقد أيضاً ليس كل شيء مرتبط بسيرة أهل البيت عليهم السلام أهميته تقتصر على مسألة

الإسقاطات، لعل البعض في جملة كلماته يقول: إنّنا لا نريد أن نجمد عند ماضٍ بل نريد أن نستفيد من الماضي لنستشرف المستقبل عبر الحاضر؛ لأنّ السبب في ذلك أنّ بعض ما يرتبط بسيرة أهل البيت ﷺ مرتبط بالجانب العملي وفي مثل هذا الجانب نحن نستفيد من هذه السيرة لنطبقها على حياتنا.

أما البعض الآخر من سيرة أهل البيت ﷺ فهو مرتبط بجانب المعرفة، وفي جانب المعرفة القيمة تكون للمعرفة في حدّ ذاتها، ومن ثم تحقيق الحق في الأمور المرتبطة بالمعرفة لها قيمة ذاتية بحدّ ذاتها، بمعنى فيما يرتبط بمنزلة الأئمة على سبيل المثال هل الأئمة يحدثون الملائكة أو لا تحدثهم الملائكة؟ كُتب الأئمة، مصحف فاطمة-عليها السلام-، وغير ذلك من مثل هذه المطالب.

البعض يظن أنّ الأخلاق تقتصر على جانب أو لها صورة أو جنباً واحداً تقتصر بأن يكون الإنسان وديعاً حليماً يكظم الغيظ ويعفو عن الآخرين، ويتصور أنّه إذا كانت هناك شدة أو غضب فهذا معناه أنّ الشخص مجانباً للأخلاق وبعيداً عن الأخلاق، وأحياناً قد يصورونه أنّه غليظ مثلاً، أو أنّ هذا الإنسان متشدد أو ما شابه ذلك من التّعابير، لنرجع إلى منطق القرآن الكريم، قال الله -سبحانه-: **(مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)**(٢).

هذا الوصف الأخلاقي بأنّهم أشدّاء على الكفار، يشير إلى صفة الشّدّة، وأنّه ليس وصفاً منبوذاً بل هو وصف يريده القرآن الكريم، ويريد أن يمدح به المؤمنين.

عن أبي إسحاق سمعت عمرو بن ميمون يحدّث عن عبد الله قال: بينما رسول الله ﷺ ساجداً وحوله ناس من قريش وثم سلى بعير فقالوا: من يأخذ سلى هذا الجزور أو البعير

فيفرقه على ظهره، فجاء عقبة بن أبي معيط فقذفه على ظهر النبي ﷺ، وجاءت فاطمة -عليها السلام- فأخذته من ظهره، ودعت على من صنع ذلك، قال عبد الله: فما رأيت رسول الله ﷺ دعا عليهم إلا يومئذ، فقال: **"اللهم عليك الملا من قريش، اللهم عليك أبا جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة وعقبة بن أبي معيط، وأمية بن خلف"** قال عبد الله: ولقد رأيتهم قتلوا يوم بدر وألقوا في القليب - أو قال: في بئر -غير أنّ أمية بن خلف-أو أبي بن خلف- كان رجلاً بادناً فقطع قبل أن يبلغ البئر".(٣)

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: **"بينا النبي ﷺ في المسجد الحرام وعليه ثياب له جدد فألقى المشركون عليه سلى ناقة فملأوا ثيابه بها، فدخله من ذلك ما شاء الله، فذهب إلى أبي طالب فقال له: يا عم كيف ترى حسبي فيكم ؟**

فقال له: وما ذاك يا ابن أخي ؟ فأخبره الخبر، فدعا أبو طالب حمزة وأخذ السيف وقال لحمزة: خذ السلى، ثم توجّه إلى القوم والنبي ﷺ معه فأتى قريشاً وهم حول الكعبة، فلما رأوه عرفوا الشر في وجهه، ثم قال لحمزة: أمر السلى على سبالهم، ففعل ذلك حتى أتى على آخرهم، ثم التفت أبو طالب إلى النبي ﷺ فقال: يا ابن أخي هذا حسبك فينا ". (٤)

فالأخلاق تعني الحلم والعفو في موضع الحلم والعفو، وتعني الغضب في موضع الغضب، والصمت في موضع الصمت، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في موضع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

بناءً على ذلك أريد أن أتطرّق إلى بعض ما يؤكّد هذا الجانب من كلمات أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام فعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في كتابه إلى أهل مصر لمّا ولّى عليهم الأشتر في نص الخطاب قال: **"مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَضِبُوا لِلَّهِ حِينَ عُصِيَ فِي أَرْضِهِ وَذُهِبَ بِحَقِّهِ فَضَرَبَ الْجَوْرُ سُرَادِقَهُ عَلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ وَالْمُقِيمِ وَالظَّاعِنِ فَلَا مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاحُ إِلَيْهِ وَلَا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عَنْهُ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ**

عَبْداً مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ وَلَا يَنْكُلُ عَنِ الْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ وَهُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقَّ فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ لَا كَلِيلُ الظُّبَةِ وَلَا نَابِي الضَّرِيبَةِ فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا فَإِنَّهُ لَا يُقْدِمُ وَلَا يُحْجِمُ وَلَا يُؤَخِّرُ وَلَا يُقَدِّمُ إِلَّا عَنْ أَمْرِي وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ". (٥)

في خطبة أخرى له -صلوات الله وسلامه عليه- يقول في نهج البلاغة: " وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللَّهِ مَنْقُوضَةً فَلَا تَغْضَبُونَ وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ وكَانَتْ أُمُورُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ فَمَكَّنْتُمُ الظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللَّهِ فِي أَيْدِيهِمْ يَعْمَلُونَ بِالشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ لَجَمَعَكُمُ اللَّهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ" (٦).

حينما تُنقض عهود الله لماذا لا يغضب الإنسان لشيء يغضب الله -عز وجل- له، ثم أمير المؤمنين عليه السلام لديه وصف لطيف في هذا الخصوص يقول: (**وانتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون تقيمون الدنيا ولا تقعدونها**)، إذا تعرض شخص لأبيكم أو لجدكم أو لأنفسكم، ولكن حينما يتم التّعرض إلى الله -عزّ وجل- لا تحرّكون ساكناً، والبعض هكذا تجده حينما يتم التّعرّيض له نجد أنّه يقيم الدنيا ولا يقعدها، ويتحدث بالفضائيات، ويكتب المقالات في الصحف، فتجده لا يدع مجالاً إلا ويفعله، ولكن حينما يتم التّعريض بمقدّسات الوجود، ويتم الاستهانة بها والطّعن في المعتقدات يقول: الآن نحن نتجاوز عن هذا الموضوع؛ لأنّ هناك مصلحة مع الآخر، ومن هنا يرون الفتنة في الرد على من يتعرّض للحق، ولكن لا يرون أي فتنة تطرأ في العالم فيما لو تعرضوا بأشخاصهم.

في سيرة الإمام المجتبى يستشهدون كثيراً ببعض القصص والرّوايات المرتبطة بحلمه -صلوات الله وسلامه عليه-، وأنا أريد أن أبيّن هذه النقطة فيما ينقل في هذا الخصوص في بعض هذه الرّوايات: أنّ شاميّاً رآه راكباً فجعل يلعنه والحسن عليه السلام لا يرد فلما فرغ

أقبل الحسن ﷺ فسلّم عليه وضحك فقال: أيّها الشيخ أظنك غريباً، ولعلك شبهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حركت رحلك إلينا، وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك؛ لأنّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً. فلمّا سمع الرجل كلامه، بكى ثم قال: أشهد أنّك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إلي والآن أنت أحب خلق الله إلي وحوّل رحله إليه، وكان ضيفه إلى أن ارتحل، وصار معتقداً لمحبتهم.. (٧)

هنا يطرح هذا التساؤل: ويقول أنّ أهل البيت ﷺ كانت سيرتهم الحلم، وبالتالي إذا تعرض شخص لأهل البيت أنت يجب أن تحلم عنه كما حلم الإمام المجتبى ويذكرون بعض مثل هذه الروايات فيما يرتبط ببقية الأئمة خصوصاً أمير المؤمنين ﷺ هناك بعض الأحداث المشابهة. وفي الحقيقة في هذا غفلة إن لم يكن تغافل.

في كتاب مباني تكملة المنهاج للسيد الخوئي -قدّس سرّه- يذكر المسألة التالية مسألة ٢١٤ : "يجب قتل من سبّ النبي ﷺ على سامعه وهذه مسألة مسلّمة بين المسلمين سنّة وشيعة ما لم يخف الضرر على نفسه أو عرضه أو ماله الخطير أو نحو ذلك ويلحق به سبّ الأئمة ﷺ وسب الزّهراء -عليها السلام-".

هذا هو الموقف الشّرعي والفقهي ثم بعد ذلك تلاحظ فيما يعلّق السّيد الخوئي- فيما يرتبط بسبّ الأئمة ﷺ قائلاً: من دون خلاف بين الأصحاب بل ادعي عليه الإجماع بقسميه وذلك لما عُلم من الخارج بالضرورة أنّ الأئمة ﷺ والصديقة الطاهرة بمنزلة نفس النبي وأنّ حكمهم حكمه ﷺ وكلهم يجرون مجرىً واحداً وتؤكد ذلك عدّة روايات يستشهد بروايتين صحيحتين.

عن هشام بن سالم ، قال : قلت : لأبي عبدالله - عليه السلام- : **"ما تقول في رجل**

سبابة لعلي عليه السلام ؟ قال : فقال لي : حلال الدم والله لولا أن تعم بريئاً" .

أيضاً صحيحة داود بن فرقد قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : **"ما تقول في قتل الناصب ؟ فقال : حلال الدم ، ولكنّي أتقي عليك ، فان قدرت أن تقلب عليه حائطاً أو تغرقه في ماء لكيلا يشهد به عليك ، فافعل"** .

إذن هذه الروايات تؤكّد على أنّ حكمة كذلك فتوى الفقهاء قاطبة في هذا الخصوص أنّ من يسب أهل البيت عليهم السلام هذا حكمه القتل، وهذا ليس موضع التسامح في مثل هذا، فكيف يصدر هذا من الإمام المعصوم المجتبى -سلام الله عليه-.

هنا توجيه في مثل هذا المجال أنّ الإمام المجتبى عرف أنّ هذا مخدوع، وأنّه لا يحمل ضغينة فعامله معاملة خاصة لعلمه بالغيب، بينما نحن حينما لا نعلم بالغيب، ونحمل الأمور على الظاهر، هذا وجه في هذا الخصوص.

وأيضاً الوجه المذكور في الرواية أنّ هناك ضرراً وخطراً يمكن أن يلحق بالمؤمن جزاء تطبيق هذا الحكم الشرعي.

لا يجوز مع القدرة أنّ الإنسان يتّكل على الضعف وخاصة في حالة تعرض المقدّسات للخطر والتهديد؛ لأنّه لا شيء أغلى عند الإنسان من مقدّساته، أقل ما فيها أنّه إذا لم يتمكن من فعل شيء فبالقول يتكلّم، هذا أقل ما في يده، إذا كان معذوراً في جانب الفعل ففي جانب القول لا يعذر لأن يداهن الآخرين في تجاوزهم على مقدّسات أهل البيت وفي تعريضهم بأئمة أهل البيت-صلوات الله عليهم- وبالزهراء-عليها السلام- من أي وسط كان.

الهوامش:

١ـ بحار الأنوار: العلاّمة محمد باقر المجلسي (م ١١١٠ هجري) مؤسسة الوفاء، بيروت ـ ١٤٠٣ هجري/ ج ٤٤ / ص ٣٩ .

٢-سورة الفتح/ آية ٢٩ .

٣- محمد باقر المجلسي/ المصدر السابق/ ج ١٨ / ص ٢٠٩ .

٤- المصدر نفسه/ ج ١٨ / ص ٢٣٩ .

٥- نهج البلاغة/ محمد بن الحسين بن موسى الشريف الرضي/ تحقيق: فارس حسون/ مطبعة ستارة/ ١٤١٩هـ/ ص٤١٩.

٦- المصدر نفسه/ ص ١٥٤ .

٧ـ محمد باقر المجلسي/ المصد السابق/ ج ٤٣/ ص٣٤٤.

السبط
الزكي
زيارة الإمام
الحسن
عليه السلام
المجتبى
الولي
اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَابْنَ رَسُول رَبِّ الْعالَمِينَ
اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَابْنَ اَمير الْمُؤمنينَ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَابْنَ فاطِمَةَ
الزَّهْراء اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَا حَبيبَ اللهِ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا صفْوَةَ اللهِ
اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا اَمينَ اللهِ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا حُجَّةَ اللهِ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ
يا نُورَ اللهِ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا صراطَ اللهِ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا بَيانَ حُكْمِ اللهِ
اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا ناصرَ دينِ اللهِ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا السَّيدُ الزَّكِيُّ
اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا الْبَرُّ الْوَفِيُّ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا الْقائِمُ
الْاَمينُ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا الْعالِمُ بِالتَّأْويلِ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ
اَيُّهَا الْهادي الْمَهْدِيُّ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا الطَّاهِرُ الزَّكِيُّ
اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ
اَيُّهَا الْحَقُّ الْحَقيقُ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا الشَّهيدُ الصِّدّيقُ
اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا اَبا مُحَمَّد الْحَسَنَ بْنَ
عَلِيٍّ وَ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ .

الحسن المجتبى

الحسن المجتبى

قيادة الإمام الحسن عليه السلام

السيد ياسر سمير/ مدرب تنمية بشرية

في بادئ الأمر علينا التّعرف على معنى كلمة قائد، أو القيادة، لكي يتبين لنا المفاهيم التي أراد الإمام الحسن عليه السلام أن يزرعها في نفوس القادة.

القيادة: هي عملية التّأثير في الآخرين بغية تحقيق أهداف محددة.

الشروط التي ينبغي توافرها لانبثاق القيادة:

(أ) وجود جماعة من الناس.

(ب) القدرة على التّأثير الإيجابي في سلوك الأعضاء الآخرين .

(ج) توجيه نشاط الجماعة، وبث روح التّعاون بين أفرادها، لتحقيق الهدف المشترك الذي تسعى إليه .

أهمَّ واجبات القيادة في ظلّ توجيهات الإسلام

١ - **الشّورى:** بمقتضى قوله تعالى: (**وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**)(١)، وقوله تعالى: (**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**)(٢) .

٢ - **الإخاء والمساواة:** من مهمَّة القائد الإخاء والمساواة، في قوله تعالى: (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**)(٣)، (**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**)(٤).

٣- **الاهتمام بالعلاقات الإنسانيَّة داخل الجماعة،** ويستلزم ذلك أن يهتمَّ القائد بالعطف والاهتمام بالعمل الجماعي، عن طريق تحقيق صالح الجماعة والرِّعاية لها، ويقول الرَّسول الأعظم -صلَّى الله عليه وآله-: (**كلّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيَّته**)(٥).

٤ - **الاهتمام بالجانب الأخلاقي،** ويتطلَّب ذلك أن يرعى شؤون الجماعة من النَّاحية الأخلاقيَّة، فإذا وجد اعوجاجاً أخلاقيّاً هذَّبه بحكمته وحزمه، وكذلك تزويد جماعته بالنَّصائح بالحسنى، وإسداء النَّصيحة.

٥- **تحمّل المسؤوليَّة في القرارات التي تتَّخذ،** وهذه هي صفة القيادة في أسمى صورِها.

صفات القائد :

إنّ كلّ حركة تحتاج إلى مدبّر وإلّا كانت فاشلة وينتج عنها السلبيات الوخيمة

على المجتمع والدّين، وهذا المدبّر لا بدّ أن يتّسم بصفات ينتج عنها استقامة حركته والحصول على أهدافها، ولا سيّما إذا كانت للوصول إلى الأهداف الإلهية، فلا بد من تحلّي المدبّر المؤمن بها. وهذه الصفات يجمعها عناصر ثلاثة يتفرّع منها بقية الصفات وهي:

(١) الإيمان بالله-تعالى- وبرسوله ﷺ وما جاء به:

فلو لم يكن مؤمناً لم يكن عنده الميزان الذي به يميّز الحق من الباطل والعدل من الظلم.

(٢) العلم والحكمة:

فبالعلم يعرف كيف يعامل المجتمع، وكيف يتعامل مع الأعداء، فيحارب إذا علم أنّ الحرب هي الحل الأمثل، ويسالم إذا علم أنّ المسالمة هي الخير كلّه له ولأتباعه ومبادئه.

وبذلك تنفتح السبل إلى الله -عزّ وجلّ-: **(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)**(٦) والجهل بالحكمة هو الذي يوجب النّقد والانتقاد.

ولذا قال الإمام الحسن ﷺ جواباً على مَن سأله لِمَ صالحتَ معاوية: **(أما علمتَ أنّ الخضر لما خرق السفينة وأقام الجدار وقتل الغلام كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران ﷺ رحمه الله إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصواباً)** (٧).

(٣) التقوى:

وهو العنصر الذي يأخذ بيد الإنسان نحو السبيل إلى الله-تعالى- والوصول إلى مدارج الكمال في قيادته وتدبيره. قال -تعالى-: **(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)**(٨). ويحتاج في الحصول على هذا العنصر إلى أُمور كثيرة منها:

إحياء قلبه بالموعظة، إماتته بالزهد، تقويته باليقين، تنويره بالحكمة، تذليله بذكر

الموت، تقريره بالفناء، تبصيره لفجائع الدنيا، تحذيره صولة الدّهر وتقلّب الليالي والأيام، تذكيره بأخبار الماضين وما أصابهم.

وإذا أردتَ المزيد فاقرأ وصيّة أمير المؤمنين ﷺ للإمام الحسن ﷺ فقد تضمّنت أموراً كثيرة لتأديب الإنسان والأخذ بيده للوصول إلى مدارج الكمال.

فقد أوصى أمير المؤمنين ﷺ ابنه الحسن ﷺ قائلاً: **" أي بني إنّي وإن لم أكن عمّرتُ عمر مَن كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم، وفكّرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم بل كأنّي بما انتهى إليّ من اُمورهم عمّرت مع أوّلهم إلى آخرهم، فعرفتُ صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره، فاستخلصت لكَ من كل أمر نخيله، وتوخّيت لك جميله، وصرفتُ عنك مجهوله "**(٩).

وقد ضرب لنا نبينا وقائدنا الرسول الأعظم -صلى الله عليه وآله- أروع الأمثلة في القيادة وسلوكها، فكان بحق قائداً، بل أعظم القادة، فكما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام- واصفاً النبي -صلى الله عليه وآله- في أرض المعركة: " قال أمير المؤمنين الإمام علي ﷺ: **" كنّا إذا احمر البأس اتقيناه برسول الله صلى الله عليه وآله، لم يكن أحد أقرب إلى العدو منه"**(١٠).

عصر الإمام الحسن ﷺ

بالأمس خسرت الأمّة الإسلامية سيّد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين ولم تعرف الأمة كيف تحافظ على قياداتها، وبذلك تعثّرت في حركتها وغارت في غياهب الخنوع والهزيمة، في وقت كانت تمتلك فرصة ذهبية بوجود الإمام علي ﷺ في أن تشيد حضارة إسلامية شامخة تستند على ركائز العدل والحرية والرفاه والأمن ....

غير أنّ الأمّة حينما تستسلم للضغوطات الدّاخلية أو الخارجية وتخضع لرياح المؤامرات فيغزوها الوهن ويخبطها الضعف، فإنّ النّتيجة هي الوقوع تحت نير قوى الطاغوت .

بعد أن أطلق جموع الناس البيعة للإمام الحسن -عليه السلام- قام ﷺ بدوره في إدارة الدّولة الإسلامية، فاختار العمّال والولاة على المناطق الإسلامية ورسم مخطط تنظيم شؤون الدّولة وإعداد مستلزمات إدارة النظام السياسي في الأمة .

في الجهة المقابلة كان معاوية مستمرّاً في تنفيذ مخطط المؤامرات السياسية بهدف تقويض الدولة الإسلامية ... هذا المخطط الذي بدأ منذ الإمام علي ﷺ والذي كان يهدف معاوية بذلك توسيع مملكته وبسط نفوذه الى خارج حدود منطقة الشام .

وبعد عدة رسائل بين الإمام الحسن ﷺ ومعاوية ظهر للناس وعرف المخدوعون منهم الفكر الاستراتيجي عند الإمام ﷺ حيث قام بتحشيد الجماهير للحرب ضد جيش الشام، وقام بإرسال أوّل دفعة عسكرية بقيادة عبيد الله بن العباس، وقد قام الإمام ﷺ بتقديم الوصايا لعبيد الله حيث قال: (**يا ابن عم: إنّي باعث معك اثني عشر ألفاً من فرسان العرب وقرّاء مصر ... فسر بهم وألن جانبك، وابسط وجهك، وافرش لهم جناحك، وادنهم من مجلسك، وسر بهم نحو الفرات، حتى نقطع بهم الفرات، ثم تصير بمسكن، ثم امض حتى تستقبل معاوية، فإن أنت لقيته، فاحبسه حتى نأتيك، فإنّي في أثرك وشيكا، وليكن خبرك عندي كل يوم، وشاور هذين -يقصد قيس بن سعد وسعيد بن قيس- فإذا لقيت معاوية فلا تقاتلنه حتى يقاتلك، وإن فعل فقاتله، فإن أصبت فقَيْس على الناس، وإن أصيب قيس، فسعيد بن قيس على الناس**)(١١).

أخلاقيات القائد العسكري:

لقد سلّط الإمام الحسن ﷺ في وصاياه الضوء على بعدٍ هامٍّ وهو البعد الأخلاقي في تعامل القائد مع عناصر فرقته، هذا التّعامل الذي ينعكس في طاعة جنود الفرقة وإخلاصها لقائدها وتنفيذ القرارات الصادرة عنه بجدّية وتفاني.

ومن هذه الصفات الأخلاقيّة:

أ- الرّفق بالجنود: من المؤكد أنّ الجنود يتحمّلون أعباء الحرب والسّفر لذلك أوصى

الإمام بالرّفق بهم عن طريق (**ألِن جانبك**) .

ب – **إدخال السرور على الجنود:** وقد أوصى الإمام بذلك من خلال قوله (**وابسط وجهك**).

ج– **التّواضع وإلغاء الحواجز النفسية بين القائد والجنود:** وقد أوصى الإمام بذلك من خلال قوله (**وافرش لهم جناحك**).

ح– **التّعرف على مشاكل وهموم الجنود:** وقد أوصى الإمام بذلك من خلال قوله (**وادنهم من مجلسك**).

وهناك مسؤوليات هامّة على القائد العسكري تجاه القيادة العليا للدولة، ذكرها الإمام الحسن عليه السلام لعبيد الله بن العباس ومنها:

١ – الالتزام بالقرارات العليا:

هناك مجموعة من الحدود الثابتة التي لا يحق للقائد العسكري أن يتجاوزها، أو يبت فيها كونها تختص بالاستراتيجية العامة للدولة ومن تلك الحدود هي قرار بدء الحرب أو تقرير مصيرها والتي أوصى بها الإمام من خلال قوله: (**فإن أنت لقيته، فاحبسه حتى نأتيك**).

٢ – رفع التقارير اليومية واطّلاع القيادة العامة على مجريات الحرب:

وقد أوصى الإمام بذلك من خلال قوله: (**وليكن خبرك عندي كل يوم**).

٣– إقرار الشورى مع الكفاءات داخل الجيش:

وقد أوصى الإمام بذلك من خلال قوله: (**وشاور هذين**).

٤ – اعتماد النواب:

وقد أوصى الإمام بذلك من خلال قوله: (**فإن أصبت فقيس على الناس، وإن أصيب قيس، فسعيد بن قيس على الناس**).

إنَّ الإمام عليه السلام كان بحق أسوة حسنة في كل مجالات الحياة في ذلك الزمان وهذا الزمان،

بما فيها الشجاعة والإباء، على جميع القادة إذا ما أرادوا أن يحرزوا النصر عليهم الامتثال لهذه الوصايا للوصول الى الرقي والتمييز في إدارة الدول، وقيادة الجيوش العسكرية .

الهوامش:

(١)سورة آل عمران/ الآية: ١٥٩.

(٢) سورة الشورى/ الآية: ٣٨.

(٣) سورة الحجرات/ الآية: ١٠.

(٤) سورة الحجرات/ الآية: ١٣.

(٥) بحار الأنوار: العلاّمة محمد باقر المجلسي (م ١١١٠ هجري) مؤسسة الوفاء، بيروت _ ١٤٠٣ هجري/ ج ٧٢/ ص٣٨.

(٦) سورة النحل/ الآية: ١٢٥.

(٧) محمد باقر المجلسي/ المصدر السابق/ ج ٤٤/ ص ١٩.

(٨) سورة يونس/ الآية: ٩٦.

(٩) محمد باقر المجلسي/ المصدر السابق/ ج ٧٤/ ص٢٠١.

(١٠) المصدر نفسه/ ج ١٦/ ص ١١٧.

(١١) المصدر نفسه/ ج ٤٤/ ص ٥١.

الحسن

الحسن المجتبى عليه السلام

حيثيات صلح الإمام الحسن عليه السلام

حيدر فائق/ صحفي

هنالك من يعتقد أنّ صلح الإمام الحسن ﷺ مع معاوية قد أعطى الشرعية في الخلافة لمعاوية دون النظر والبحث في حيثيات هذا الصلح، والتي تتلخّص في أربعة أسئلة يتوقف عليها القول بشرعيّة الخلافة لمعاوية:

١ـ هل أنّ الإمام الحسن ﷺ بايع معاوية بيعة حقيقية؟

٢ـ هل أنّ الإمام الحسن ﷺ تنازل عن الخلافة لمعاوية؟

٣ـ هل أنّ الإمام الحسن ﷺ بايع مختاراً وبدون ظروف قاهرة؟

٤ـ هل أنّ معاوية عمل بشروط البيعة أو الصلح؟

ولبيان حقيقة الأمر سنناقش هذه النقاط بما يتوفر لدينا من مصادر لإظهار الحقيقة بأبسط صورة.

النّقطة الأولى:

إنّ المصادر التاريخية التي بمتناول أيدينا تثبت عدم حدوث بيعة من الإمام الحسن ﷺ لمعاوية، بل لم يكن في الأمر غير المعاهدة والصلح. وهذا غير البيعة كما يشهد له كل من عنده بعض الإلمام بالعربية.

١ـ قال يوسف [بن مازن الراسبي]: فسمعت القاسم بن محيمة يقول: ما وفى معاوية للحسن بن علي -صلوات الله عليه- بشيء «عاهده عليه».(١)

٢ـ في كلام له ﷺ مع زيد بن وهب الجهني قال: (والله لأن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وآمن به في أهلي خير من أن يقتلوني...). (٢)

٣ـ (فوالله «لأن أسالمه»...) في كلام له ﷺ مع زيد بن وهب. (٣)

٤ـ فلما استتمت «الهدنة» على ذلك سار معاوية حتى نزل بالنخيلة. (٤)

٥ـ في رواية له ﷺ (إنّما «هادنت» حقناً للدماء...) . (٥)

٦ـ لما «وادع» الحسن بن علي -عليهما السلام- معاوية.(٦)

ومما يؤيد لك أن جميع المصادر التاريخية القديمة حين تذكر أحداث (عام ٤١) تقول:

(صلح الحسن)، وليست (بيعة الحسن).

النقطة الثانية:

هناك فرق واضح بين القيادة الدنيوية وبين الخلافة الإلهية فحتى لو سلّمنا ببيعة الحسن عليه السلام فهي لا تثبت أكثر من القيادة الدنيوية لمعاوية على الناس، وهذا لا يعني على الاطلاق التنازل عن الخلافة والمنصب الإلهي.

فتعيينه إماماً للناس وخليفة كان من قبل الله تعالى فلا يمكن التنازل عنه فهو كما يعبر عنه الفقهاء من الحقوق التي لا يصح إسقاطها، ولا تقلها، ومما يدل على ذلك الروايات الكثيرة الدالة على ثبوت الخلافة للحسن عليه السلام: (إمامان قاما أو قعدا).

وكيف يجوز للإمام للحسن نزع ثوب ألبسه الله إياه، وذلك حينما بايعه المهاجرون والأنصار والمسلمون عامة بعد شهادة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام .

ومما يؤيد ذلك ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **(لا يلين مفاء على مفيء)**،(٧) أي لا يكون الطليق أميراً على المسلمين أبداً، ولو تأمّر عليهم لكان غاصباً لحقّ الإمارة ظالماً لهم بحكم الشرع والعقل، فحيث كان معاوية طليقاً لم يكن له أن يتأمّر على المسلمين.

النّقطة الثّالثة:

إنّ الإنسان يحاسب ويؤاخذ على أعماله الاختيارية وليس على ما أكره عليه أو اضطر إليه فهو منفي عنه وغير منظور عقلاً ونقلاً إذ يستحيل عقلاً أن يكلّف العبد ما لا يطيق.

وقد أشارت جملة من الآيات والرّوايات المشيرة الى هذا المعنى قال -تعالى- **(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)**(٨) و**(وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)**(٩) وقول رسول الله صلى الله عليه وآله **(رفع عن أمتي تسعة ...وما أُكرهوا عليه... وما اضطروا اليه...)**.(١٠)

وبعد هذه المقدّمة نقول:

إنّ دراسة الظرف الذي عاشه الإمام الحسن عليه السلام يجعلنا نقطع بعدم إمكانية الاحتمال الأوّل وهو (الاختيارية) في حقّه، وتعيين الثّاني ومعه لا مجال للقول بشرعية خلافة

معاوية لأجل تنازل الحسن عليه السلام له فهو يؤخذ به لو كان تنازله طواعية وليس كرهاً واضطراراً.

ولابد لتعيين الاحتمال الثاني من النظر في ثلاثة أمور:

١ـ حالة قوّاد جيش الإمام عليه السلام.

٢ـ أهل الكوفة .

٣ـ رؤساء القبائل.

الأوّل:

فإنّ الإمام أرسل في البدء قائداً من كِندة في أربعة آلاف مقاتل، توجّه الى الأنبار، فأرسل إليه معاوية بخمسمائة ألف درهم فأخذها وتوجّه إليه مع مائتي رجل من خاصّته وأهل بيته.

ثم أرسل الإمام عليه السلام قائداً من مراد في أربعة آلاف، فكتب لهم معاوية وأرسل له خمسمائة ألف درهم ومنّاه أي ولاية أحبّ من كور الشام فتوجه إليه.(١١).

وغيرها من الخيانات التي كانت من بعض الذين في جيش الإمام الحسن عليه السلام.

الثاني:

إنّ أكثر أهل الكوفة قد كتبوا الى معاوية: إنّا معك، وإن شئت أخذنا الحسن وبعثناه إليك.(١٢)

الثّالث:

كتب جماعة من رؤساء القبائل الى معاوية بالسّمع والطاعة له في السّرّ واستحثّوه على المسير نحوهم وضمنوا له تسليم الحسن إليه عند دنوّهم من عسكره . (١٣)

ومن ذلك ما ينقله التاريخ عن قول المختار الثقفي لعمّه: هل لك في الغنى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: تستوثق من الحسن وتستأمن به الى معاوية ... (١٤)

وإذا رأينا الروايات التي يذكر فيها الإمام -سلام الله عليه- سبب مصالحته مع معاوية

لوجدنا أنّ الطريقة التي استعملها الإمام (وهو الصلح) كانت هي المتعيّنة لكل لبيب ولكل خبير بالأمور العسكرية.

فمضافاً الى ما ذكرناه من النّقاط الثلاث نذكر بعض الرّوايات زيادةً في التّوضيح:

١ـ هنالك صنف من الرّوايات يصرّح الإمام عليه السلام بقوله: لولا ما أصنع لكان أمر عظيم (١٥).

وبالتأكيد إنّ هذا الأمر العظيم من الخطورة والأهميّة بمكان بحيث يفضل الإمام الصلح عليه، ولعلّه يدخل في باب التّزاحم كما يعبّر عنه الفقهاء .

٢ـ الصنف الآخر من الرّوايات يتحدّث عن السبب بما حاصله: **(لولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحدٌ إلا قُتل)**. (١٦)

وهذا القسم يعطينا صورة أوضح وأدق من الأوّل، ويمكن أن يكون شرحاً للأمر العظيم الذي عبّرت به الرّوايات في الصنف الأول.

٣ـ الصّنف الثّالث يصرّح بالقول: **(والله الذي عملت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشّمس أو غربت)**. (١٧)

٤ـ الصنف الرابع من الرّوايات يقول: **(والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً)**.(١٨)

وهذا الصنف من الرّوايات يشير إشارة واضحة الى ما أثبتناه في بداية النّقطة الثّالثة من الوضعية الحسّاسة والحرجة في جيش الإمام، والقلوب المريضة والضّعيفة التي كانت تحكم الوضع آنذاك.

٥ـ الصنف الخامس يقول: **(فوالله لان أسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسيره أو يمنّ عليّ فتكون سبّة على بني هاشم الى آخر الدّهر، ومعاوية لا يزال يمن بها وعقبه على الحيّ منّا والميت)**.(١٩)

٦ـ خطب الإمام الحسن عليه السلام بعد استشهاد أبيه أمير المؤمنين عليه السلام: **(... وكنتم تتوجهون**

معنا ودينكم أمام دنياكم، وقد أصبحتم الآن ودنياكم أمام دينكم وكنّا لكم وكنتم لنا، وقد صرتم اليوم علينا...).(٢٠)

٧ـ قال الإمام الحسن عليه السلام لخارجي عاتبه على صلحه: **(.. إنّ الذي أحوجني الى ما فعلت: قتلكم أبي، وطعنكم إياي، وانتهابكم متاعي).(٢١)**

٨ ـ قول الإمام الحسن لحجر بن عدي: **(وإنّما فعلت ما فعلت ابقاء عليكم).(٢٢)**

٩ـ قول الإمام -سلام الله عليه- حينما عذلوه على الصلح: **(لا تعذلوني فإنّ فيها مصلحة).(٢٣)**

ولو لاحظنا التّشبيه الذي يستعمله الإمام في بيان الهدف من صلحه لحصلنا على المزيد من القناعة بأنّ صلحه لم يكن إلا لمصلحةٍ كبرى يقتضيها الإسلام، ولا تعني على الاطلاق أهلية معاوية للخلافة:

١ـ في كلام يخاطب به أبا سعيد فيقول له: **علّة مصالحتي لمعاوية علّة مصالحة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبني ضمرة وبني أشجع، ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية.(٢٤)**

٢ـ يشبّه جهلنا بالحكمة الدّاعية للصلح بقضية الخضر وموسى على نبينا وآله وعليهما الصلاة والسلام.

فقال عليه السلام: **(ألا ترى الخضر عليه السلام لمّا خرق السفينة، وقتل الغلام، وأقام الجدار سخط موسى عليه السلام فعله، لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضي).(٢٥)**

٣ـ **(وقد جعل الله هارون في سعة حين استضعفوه وكادوا يقتلونه... وكذلك أنا(٢٦).**

النّقطة الرّابعة والأخيرة:

قبل بيان وفاء معاوية للحسن -عليه السلام- بالشروط لابد من ذكر البنود التي اشترطها الإمام على معاوية، وإن كان من المؤسف جدّاً أنّ التاريخ أجحف مرّة أخرى بعدم ذكره التّفصيلي لجميع البنود، وإنّما حصلنا على شذرات من هنا وهناك، ومن هذه

البنود:

١ـ أن لا يسمّيه أمير المؤمنين .(٢٧)

٢ـ أن لا يقيم عنده شهادة.(٢٨)

٣ـ أن لا يتعقب على شيعة علي عليه السلام شيئاً.(٢٩)

٤ـ أن يفرق في أولاد من قتل مع أبيه يوم الجمل، وأولاد من قتل مع أبيه بصفين ألف ألف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دار ابجرد. (٣٠)

٥ـ وأن لا يشتم علياً عليه السلام. (٣١)

ولو تأمّلنا في هذه البنود لوجدناها بنفسها تنفي الخلافة عن معاوية وهذا من تدبير الإمام عليه السلام، فمن المسلّم به أنّ الإمام من المؤمنين بل على رأسهم فاذا كان معاوية ليس أميراً للمؤمنين عملاً بالبند الأوّل فهذا يعني أنّه ليس أميراً على الحسن بل على سائر المؤمنين، وكذلك البند الثّاني فكيف يكون الإنسان خليفة ولا تجاز عنده الشهادات.

مضافاً الى هذا وذاك فإنّ التاريخ يصرّح بأنّ معاوية لم يفِ للحسن بن علي -عليهما السلام- بشيء عاهده عليه، وقد بات من الواضح عند الجميع أنّ الصلح لا يمثل إعطاء خلافةٍ لمعاوية، ولا تنازل عنها، ولا أي شيء من هذا القبيل .

الهوامش:

١- علل الشرائع/ الشيخ الصدوق/ دار المرتضى/ الطبعة الأولى/ بيروت لبنان/ ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م/ ج١/ ص٢٠٠.

٢- الاحتجاج /الطبرسي/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت لبنان/ ١٤٠١هـ-١٩٨١م/ ج٢/ ٦٩/ ص١٥٨.

٣- المصدر نفسه/ ج٢/ ٦٩/ ص١٥٨.

٤- الارشاد/ الشيخ المفيد/ مؤسسة آل البيت لإحياء التراث/ الطبعة الأولى/ ١٤١٦هـ-١٩٩٥م/ ج٢/ ١٤.

٥- بحار الأنوار: العلاّمة محمد باقر المجلسي (م ١١١٠ هجري) مؤسسة الوفاء، بيروت _ ١٤٠٣ هجري/ ج ٤٤ / ص ٢٧.

٦- المصدر نفسه/ ج ٢٦ / ص١٢٤ .

٧- الشيخ الصدوق/ المصدر السابق/ ج١/ ص٢٠٠.

٨- سورة البقرة: الآية ٢٨٦

٩- سورة الحج : الآية ٧٨

١٠- محمد باقر المجلسي/ المصدر السابق/ ج٢/ ص٢٨٠ .

١١-المصدر نفسه/ ج ٤٤ / ص ٤٤.

١٢- المصدر نفسه/ ج٤٤/ الباب ٣ .

١٣- الشيخ المفيد/ المصدر السابق/ ج ٢/ ١٢.

١٤- الكامل في التاريخ/ ابن الأثير/ تحقيق: عبد الله القاضي/ دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى/ بيروت- لبنان/ ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م/ ج٣/ سنة ٤١.

١٥- الشيخ الصدوق/ المصدر السابق/ ج١ ص ٢٠٠.

١٦- المصدر نفسه/ ج١/ ص ٢٠٠.

١٧- الطبرسي/ المصدر السابق/ ج٢/ ص ٦٨ رقم ١٥٧.

١٨- المصدر نفسه/ ج٢/ ص ٦٩ الرقم ١٥٨ .

١٩- المصدر نفسه/ ج٢/ ص ٦٩ رقم ١٥٨.

٢٠- ابن الأثير/ المصدر السابق/ ج٣/ سنة ٤١.

٢١- المصدر نفسه/ ج٣/ سنة ٤١.

٢٢- تنزيه الأنبياء/ الشريف المرتضى/ منشورات الشريف الرضي/ الطبعة الأولى/ قم/ ص٢٢٣.

٢٣- محمد باقر المجلسي/ المصدر السابق/ ج ٤٤ / ص ٥٨.

٢٤- الشيخ الصدوق/ المصدر السابق/ ج ١/ ص٢٠٠.

٢٥- المصدر نفسه/ ج١/ ص٢٠٠.

٢٦- الطبرسي/ المصدر السابق/ ج٢/ ص ٦٧ رقم ١٥٦.

٢٧- الشيخ الصدوق/ المصدر السابق/ ج١/ ص٢٠٠.

٢٨- المصدر نفسه/ ج١/ ص٢٠٠.

٢٩- المصدر نفسه/ ج١/ ص٢٠٠.

٣٠- المصدر نفسه/ ج١/ ص٢٠٠.

٣١- ابن الأثير/ المصدر السابق/ ج٣/ سنة ٤١.

يابن علي ايها المجتبى
حسن

الحسن المجتبى

دروس وعبر من صلح الإمام الحسن عليه السلام

أسعد علي/ باحث إسلامي

إنّ دراسة حياة أهل البيت عليهم السلام في غاية الأهمّيّة لاسيما للإنسان المسلم والموالي التّابع، والأهمية تأتي من خلال ما يحصل للإنسان من همّة وشجاعة في مواصلة درب الحق، فحين نرجع إلى حياتهم نجد أنّ الغربة والوحدة وقلّة الناصر وكثرة الواتر وإمعان الظلمة في إيذائهم وصدّهم، ونجد أنّ حياتهم مليئة بالأحزان والأشجان والهموم بمختلف أشكالها وتعدد مصادرها وأصولها، ولكن مع هذه الغربة ومع تلك الأحزان نجد أنّ ذلك لم يثنيهم ولم يقعدهم ولم يسكتهم فقد ملؤا الدنيا بالمفاخر والمحاسن، بل كانوا مع وحدتهم والأعداء مع كثرتهم وكل شيء بأيديهم نجد أنّ الخوف قد ملأ قلوب الأعداء منهم فلا يهنّئون بطعام أو منام ويقولون: كيف يقر لنا قرار وفي حكومتنا أمثال هؤلاء، بل كانوا يخافون من تلامذتهم وأتباعهم فضلاً عن الخوف منهم.

وتلك المضايقات والمكاره والبلايا والقتل لم تغيّر من علاقتهم بالله شيئاً فالصلاة التي كانوا يواظبون عليها في بيوتهم لم يتركوها ليلة الحادي عشر من المحرم، وتقول نساؤهم فضلاً عن رجالهم: "**ما رأينا إلاّ جميلاً**"، فإنّ الإنسان ليقف متحيّراً أمام هؤلاء ويعلم أنّ العزّة عند أتباع هؤلاء، والمسير تحت لوائهم فلا يخاف ولا ينثني ولا ينكسر.

ولا يمكن التّعرض إلى جميع جوانب حياة الإمام الحسن عليه السلام بهذه الأسطر وإنّما سوف أسلّط الضوء على بعض النّقاط المهمّة واقتناص الدّروس من سيرة الحسن عليه السلام المليئة بالعبر.

وفي مرحلتنا الرّاهنة؛ والأمّة الإسلامية تواجه تحدّيات هذه الحقبة الخطيرة من تاريخها نحتاج أن نتوقّف عند تجارب هؤلاء القادة الرّبّانيين لنستوحي منهم ما يساعدنا على ضبط خطّتنا في المواجهة وبرامجنا في الإصلاح ومشروعنا في التّغيير ومنهاجنا في العلاقة مع الآخر.

وصلح الإمام الحسن عليه السلام بالذّات يؤسس لجملة من القواعد لابدّ للأمّة عموماً والعاملين خصوصاً الاستفادة منها:

القاعدة الأولى:

الواقعية السياسية؛ عَلّمنا صلح الإمام الحسن أنّ الإمام المعصوم رغم حضوره ووجوده فإنّ النّصر والتّغيير لم يحصل بمعجزه والصّراع لم تحسمه الملائكة وإنّما (قوانين التاريخ) وسنن الله في الكون هي التي تحرّك المسيرة، نعم إنّ الله ينصر من ينصره، ولكن مع عدم توفّر شرائط النصر، ومع عدم توفر مقوّمات الحرب لا مجال للنصر، ولا إمكانية للحرب.

لقد علمنا الحسن عليه السلام درساً بليغاً في الواقعية السياسية لن تنساه شيعته أبداً.

القاعدة الثانية:

الصلابة المبدئية؛ يعتذر الكثيرون بـ(الواقعية السياسية) ليميّع أهدافه أو يتحلل من التزاماته.

وصلح الإمام الحسن -عليه السلام- يعلّمنا كيف نتعاطى مع الظروف والخصم بواقعية ولكن في ظل الالتزام العالي بالمبادئ، بل إنّ هذه المبادئ هي التي تدفعنا للصلح وهذا ما عناه الإمام الباقر عليه السلام «**والله للذي صنعه الحسن بن علي عليه السلام كان خيراً لهذه الأمّة مما طلعت عليه الشمس**» فهذا الصلح حمى دين الأمة ورسالتها وقيمها من الانقراض.

القاعدة الثّالثة:

لا مانع من حلول مرحلية عندما تعوزنا الإمكانات فلسنا دائماً في مستوى تحقيق أهدافنا البعيدة، فلا مانع إذا هادن المرء مؤقتاً أو صالح، ولا بأس من تجرّع مرارة التنازلات أحياناً في سبيل حفظ الأهداف الكبيرة.

القاعدة الرابعة:

الإسلام وأهدافه العليا هي (الاستراتيجية) فلا حرب دائمة، ولا هدنة أبدية، الحرب والجهاد والهدنة والسلم كلها خطط مؤقتة لخدمة الهدف الكبير.

القاعدة الخامسة:

لابد من تشخيص دقيق لمرض الأمّة وداء المجتمع وفي ضوء ذلك نحدّد هل الجهاد والثورة هي الحل أم السكون والهدوء؟، وبالمقابل دراسة وتحليل أهداف الأعداء أيضاً.

القاعدة السّادسة:

حفظ الصالحين من أبناء الأمّة وطلائعها المجاهدة مقصد هام من مقاصد الدّين، وإن كان حفظ الدّين هو أوّل المقاصد فإنّ في حفظ هؤلاء الملتزمين والمؤمنين والمجاهدين حفظ للدين حقّاً.. ونرى كيف أنّ الحسن عليه السلام هادن حفظاً لخلّص شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنّ دونهم لا مجال لحفظ الرّسالة وحفظ المذهب.

القاعدة السابعة:

يعلمنا الإمام الحسن عليه السلام أن نمتلك وعياً مستقبليّاً فلا ننفعل باللحظة التاريخية التي نعيشها، ولا نترك الظروف الرّاهنة الشّديدة تسقطنا، بل لابد من الانعتاق من ضغط الحاضر الذي قد يفرض علينا تنازلات، بالتحديق الواعي للمستقبل والتخطيط له.

فسلام على الإمام أبي محمد الحسن المجتبى يوم ولد، ويوم استشهد، ويوم يبعث حياً.

الأسباط

الحسين
عليه السلام
المجتبى

الحسين المجتبى

التسليم لأهل البيت عليهم السلام سر النجاة

صباح الصافي/ باحث إسلامي

قال الإمام الصادق ﷺ: **" إنّكم لا تكونوا صالحين حتّى تعرفوا، ولا تعرفوا حتّى تُصدّقوا، ولا تُصدّقوا حتّى تُسلموا أبواباً أربعة، لا يصلَح أوَّلُها إلاّ بآخرها، ضلَّ أصحاب الثلاثة وتاهوا تيهاً عظيماً، إنَّ الله تعالى لا يقبل إلاّ بالعمل الصالح، ولا يقبلُ الله إلاّ الوفاء بالشروطِ والعهودِ"**(١).

هذا الحديث الشريف من الأحاديث المهمّة، الذي يبيّن الالتزام الديني الحقيقي الذي يحيي النفس الإنسانية، فالدِّين روح النفس فتعال معي لنفهم الدِّين، ونعرف الطرق التي من خلالها نبني تديننا.

الفهم الخاطئ للانتماء الدّيني

بعض الناس فهم الانتماء الديني بالفهم البيئي، ولم يفهمه بالفهم الذي أتى به المعصومون -صلوات الله عليهم أجمعين- ويقصد بالفهم البيئي إنّ الناس فَهمت الانتماء إلى الدِّين عن طريق الثّقافات، والأعراف، والتّربية وغيرها، أي فرضت هذه الأمور على الإنسان ديناً لكنّه لا يتّسم بالصّلة مع المعصومين، بل صلته مع البيئة والأرض، وبعبارةٍ أخرى نحن فهمنا الدِّين كما نريد لا كما يريد الله -سبحانه وتعالى-، فالله -سبحانه وتعالى- جعل بينه وبين الخلق سُفراء، من بيوتهم يُؤخذ الدِّين ويُفهم، وبسبب الابتعاد عن هذه البيوت المقدّسة دفع ذلك أن تكون رؤيتنا للدّين رؤية أرضية لا رؤية لها علاقة بالوحي، وهذا مما أدّى إلى شقاء الإنسان وتأخّره، وعدم فهمه للكثير من المفاهيم الإلهية، ومن هذه المفاهيم التي عجز البعض عن فهمها صلح وبعبارة أدق هدنة الإمام الحسن الزكي -صلوات الله عليه-، ومنها أيضاً مفهوم الانتماء الديني إذ نتصور أنّ صاحب الدّين هو من يقوم بالأعمال الصّالحة، كالصّلاة، والصّيام، والحج، والصّدقة وما شابه ذلك مع أنّ هذا التّصور تصور ناقص.

وإذا دقّقنا في حديث الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ نجد أنّ الدِّين يمرّ بعدّة مراحل، وهذه المراحل تكون مرتّبة وفق نظام معين تبدأ بمفهوم مهمّ للغاية بل هو

شرط قبول جميع المراحل، وهذا المفهوم هو (التّسليم)، وبعبارة أخرى نحن نعتقد أنّ الشّخص الذي يريد أن يكون صاحب دِينٍ عليه أن يبدأ بالأعمال الصّالحة فتجرّه إلى المعرفة، ثم إنّ المعرفة تدفع إلى التّصديق ثم يصل بفعل هذه المراتب إلى التّسليم، ولكن حديث الإمام – صلوات الله عليه – بيّن أنّ القضية يجب أن تكون عكس ما نتصور أي: أنّ التّسليم يجب أن يكون مُقدَّماً ومرتبطاً بكل مراتب الدِّين(٢).

تعريف التَّسليم:

بعد هذه المقدمة نأتي إلى تعريف التّسليم والذي هو الخضوع، والإذعان الكامل لله – تبارك وتعالى– وللمعصوم– صلوات الله عليه –(٣) والقبول عنهم فيما أعلنوا وأسروا، وما وصل إلينا وما لم يصل(٤) والرّد إليهم فيما يختلف فيه(٥) وعدم الشّك، والتّكذيب والتّحرج في كل ذلك(٦) .

وبعبارة أخرى: لا يسأل في حضرة الإله جلّ وعلا والمعصوم – صلوات الله عليه –، قال تعالى: **(لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)**(٧) .

فإذا طبّق الإنسان ذلك، رفعه الله عزّوجلّ في الدّنيا والآخرة، وفاز فوزاً عظيماً(٨) وهذا ما نجده في زيارة سيدنا ومولانا أبي الفضل العباس – صلوات الله عليه – فنقرأ: **" السلام عليك أيّها العبد الصالح "**(٩) فقمر العشيرة – صلوات الله عليه – بلغ أعلى مراتب الإيمان ألا وهي مرتبة العبودية فكيف وصل إلى هذه المرحلة التي لا تأتِ بسهولة؟

الإمام المعصوم – صلوات الله عليه – يخبرنا عن سرّ ذلك فيقول: **"أشهد لك بالتّسليم والتّصديق"**(١٠) فالسبب إذن في الوصول إلى هذا المقام: هو التّسليم والتّصديق بكل ما جاء به أهل البيت –صلوات الله عليهم أجمعين– فعلينا أن ننتبه إلى هذه النّقطة المهمّة وهي: إنّ نقطة الانطلاق في إحياء النّفس تبدأ من التّسليم .

التّسليم شرط القبول والفيوض

إنّنا إذا تأمّلنا في عملية إحياء النّفس نجد أنّها تماثل عملية التّوبة والرّجوع إلى الله -سبحانه وتعالى- وإصلاح النّفس وترميمها، ومن المعلوم إنّ عملية التّوبة لا تتمّ إلا إذا طُبّقت مجموعة من القواعد أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى : **(وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى)**(١١) فالتوبة، والإيمان، والعمل الصالح لا تقبل إلا بالاهتداء إلى ولاية أهل البيت - صلوات الله عليهم أجمعين - والتّسليم لهم(١٢).

وهذا ما أشار إليه الإمام جعفر بن محمد الصادق - صلوات الله عليه - بقوله : "لا يصلح أوّلها إلا بآخرها " فالتّوبة غير كافية، والصلاح غير كافٍ، فالقضية عكسية يجب أن نبدأ بها من الهداية إلى الولاية ثم إلى التوبة فالإيمان، والعمل الصالح، فالتّوبة لا تجعل الإنسان يقلع عن الذنوب، وإنّما الذي يجعل الإنسان يهجر الذّنوب هو باب الهداية الولائية الممتزج مع المعرفة الرّوحانية قال الإمام الصادق -صلوات الله عليه-: **" أبى الله أن يجري الأشياء إلا بالأسباب، فجعل لكل شيء سبباً، وجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح مفتاحاً، وجعل لكل مفتاح علماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً من عرفه عرف الله، ومن أنكره أنكر الله، ذلك رسول الله ونحن "**(١٣).

فهذا الحديث الشريف يشير إلى حقيقة مهمة وهي: إنّ كل الأشياء تجري بالأسباب، والأسباب هي القوانين، أي إنّ الأشياء تجري وفق القوانين ومن هذه الأشياء الإلتزام الدّيني، فيجب أن يكون وفق قوانين معينة محددة، ثم إنّ هذه القوانين تحتاج إلى بيان وتوضيح والإمام هو باب ناطق عن ذلك العلم، وهؤلاء هم الحبيب المصطفى محمد والعترة الطاهرة -صلوات الله عليهم أجمعين- قال الله -تبارك وتعالى-: **(وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)**(١٤).

فرضا الله -سبحانه وتعالى- وغفرانه متوقف على التّسليم للحبيب المصطفى محمد

ﷺ وأهل بيته -صلوات الله عليهم أجمعين- قال الله تبارك وتعالى: (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا**)(١٥).

إذن فالهدف ليس هو العمل الصالح؛ لأنّنا نجد حتى الظالمين يعملون الصالحات، ولكن الهدف أن نأتي إلى الأبواب التي أمرنا الله تبارك وتعالى بالتّوجه والتّمسك بها فهي الأبواب النّاطقة عن الله عزّ وجلّ فالله -سبحانه وتعالى- أودع الغفران في قلب الحبيب المصطفى ﷺ ولكي يحصل الغفران لا بد أن يوافق المصطفى -صلوات الله عليه وآله- وإلّا فالصلاح والمعرفة والتّصديق ليست كافية للنّجاة، فالإمام ﷺ يقول: "**...ضلّ أصحاب الثلاثة وتاهوا تيهاً عظيماً** ..."(١٦) أي ابتعدوا بعداً كبيراً عن الحق بسبب عدم الوفاء بالشّروط والعهود :"**إنّ الله لا يقبل إلا العمل الصالح، ولكن لا يقبله الله إلا الوفاء بالشروط والعهود**".

وأما من بدأ دِينَه كما وصف الإمام الصادق ﷺ "أولئك الذين فازوا في الحياة الدُنيا والآخرة " فمن وَفَى الله تعالى بشرطه واستعمل ما وصف في عهده نَال ما عنده واستكمل وعده، وإنّ الله تعالى أخبر العباد بطرق الهدى وشرع لهم فيها المنار وأخبرهم كيف يسلكون فقال: (**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**)(١٧) وقال: (**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**)(١٨) فمن اتقى الله فيما أمره لقي الله مؤمناً بما جاء به محمد ﷺ ..."(١٩).

إذن لننتبه من غفلتنا، ونرجع إلى أنفسنا التي نريد إحياءها وأن نعيد صياغة ديننا الذي هو وسيلة نجاتها في الدنيا والآخرة، قبل أن يفوت الوقت، ونصبح من الذين قال عنهم الإمام الصادق ﷺ: " **ماتوا قبل أن يهتدوا، وظنوا أنّهم آمنوا، وأشركوا من حيث لا يعلمون** "(٢٠).

لتكن أعمالنا لها نقطة انطلاق صحيحة، ولها أهداف واضحة ولها برنامج يحافظ على

عدم كسادها حتى لا نكون من الأخسرين أعمالاً، الذين أجهدوا أنفسهم في الحياة الدّنيا ولكنّ ثمرة أعمالهم كان الضياع والخسران؛ لأنّهم توجّهوا إلى الله -سبحانه وتعالى- من حيث يريدون لا من حيث يريد هو جلّ وعلا فأنبأنا عنهم حتى نعتبر بهم فقال -تبارك وتعالى-: (**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**)(٢١).

الغاية لا تبرّر الوسيلة

قبل أن أشير إلى طرق رئيسية يبتني عليها الدِّين أذكر مسألة في غاية الأهمّيّة وهي: ليس المهم أن نحقق الغرض الإلهي كيف ما كان، بل لا بُدّ أن نحقّقه وفق ما يريد الله -تبارك وتعالى-.

ولأضرب لك مثالاً حتى يكون الكلام واضحاً، إذا طلبت من شخص أن يجلب لك مالاً أو بضاعة فهل تقبلها حتى إذا كانت سرقة مثلاً؟

الجواب: كلّا، والسبب؛ لأنّها لم تحقّق وفق الشروط والعهود، وهكذا علينا أن نحقق الغرض كما يريد الله -تعالى-، لا كما نريد نحن، فالغايات لا تبرر لك استعمال أي وسيلة كانت، بل سُبل البناء الدّيني يمكن أن تلخّص في عدّة نقاط:

أوّلاً: أن نأتي من الأبواب التي أمرنا الله عزّ وجل وهي الرّسول الأعظم ﷺ وعترته الطاهرة -صلوات الله عليهم أجمعين-.

ثانياً: بعد أن نأتي من هذه الأبواب المقدّسة علينا أن نقتدي بهم، لأنّ الاقتداء علّة الهداية قال الله -تبارك وتعالى-: (**لقد كان لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**)(٢٢) وأقصد بالاقتداء كل شيءٍ دعوا إليه أو يسرهم فعله، فعلينا أن نسارع إلى فعله(٢٣).

ثالثاً: التّسليم لهم -صلوات الله عليهم- وعدم الأخذ إلّا منهم أو من يمثّلهم ويكون السبيل إليهم(٢٤).

رابعاً: إزالة الحُجب؛ لأنّها بمثابة الحواجز والأشواك التي تمنع نزول الفيوضات

الإلهية، كما أنّها تعرقل عملية البناء وهذه الحُجب تقسّم إلى قسمين: حُجب داخلية كحبّ الذّات، والرّياء، والظّن السّيّء، والعقيدة الفاسدة، وأشباهها وكل واحدة منها بمثابة الشّرك، أو الكفر بالله سبحانه وتعالى(٢٥)، وأمّا النوع الثّاني من الحُجب فهي الحُجب الخارجية، كالابتعاد عن أئمة الحق، واتّباع أئمة الضلال، فَلِكَي نستكمل دين النفس وحياتها علينا إزالة الحُجب فقد ورد في الروايات الشريفة: "...**التمسوا من وراء الحُجب الآثار** ..."(٢٦) .

خامساً: عدم الاستهانة بالذّنوب، البعض يتصور أنّ الإنسان إذا أصبح من أهل التّسليم فلا يهم إن فعل ذنوباً؛ لأنّه مرتبط بما ينجيه ويكفّر عنه ذنوبه، ويعتقد بنفسه أنّه من أهل الدّين والصّلاح، ولكن ينبغي أن يعرف أصحاب هذا الفكر بأنّ ولاية أهل البيت والتسليم لهم -صلوات الله عليهم أجمعين- ممكن أن يؤثّر عليها بعض الحُجب وبالتالي ينتهي هذا التّسليم ويموت في النّفس فيصبح دين الإنسان لا شيء ومن هذه الحُجب الشّك، فقد ورد عن أمير المؤمنين -صلوات الله عليه-: "**.. الشّك كفر ..**"(٢٧).

وعنه -صلوات الله عليه-: "**الشّك يطفئُ نور القلب**"(٢٨) وعنه -صلوات الله عليه-: " **الشّك يفسدُ الدِّين**"(٢٩) ومنها استصغار الذّنوب يُروى أنّه كان لأبي عبد الله الصادق عليه السلام صديق لا يكاد يفارقهُ قال هذا الصديق يوماً لغلامه: يا بن الفاعلة أين كنت؟ فلمّا سمع الإمام الصادق عليه السلام من صديقه هذا القذف تألّم كثيراً ثم قال: سبحان الله تقذف أمّه، وقد كنت أرى أنّ لك ورعاً فإذا ليس لك ورع، قال صديق الإمام عليه السلام: جُعلتُ فداك إنّ أُمّه سنديه -يعني من بلاد الهند- ومشركة، قال الإمام عليه السلام: ألا تعلم إنّ لكل أمّةٍ نكاحاً: تنحَّ عَنّي.

قال الراوي فما رأيتُ الإمام الصادق عليه السلام يمشي مع صديقه حتى فرق بينهما الموت(٣٠).

الذكرى تنفع المؤمنين

فيا من تريد أن تبني دينك وفق أسس متينة، راجع دينك وأنظر من أين بدأت، فإذا كان بدايتهُ التسليم، فإنّ هذا سيجعلك تحصل على خير الدّنيا والآخرة، وإذا كنت قد بدأت من غير هذا الطريق، فإنّه طريق نفعه قليل جداً، بل قد لا ينفع لعدم الوفاء بالشّروط والعهود؛ لأنّ من يريد أن يسافر إلى مكان بعيد يحتاج إلى زاد كثير، وأمّا الزاد القليل ينفعهُ لفترة قصيرة وينتهي.

إجعل نفسك تحت نور القرآن الكريم ونور المعصومين -صلوات الله عليهم- لتعرف إلى أين وصلت، وفي أي مرحلة أصبحت، وأين مقامك من أهل البيت-صلوات الله عليهم-؟ حتى تعرف مقامك من الله جل وعلا وتتزيّن بمعرفتهم -صلوات الله عليهم- كما أمرك الله سبحانه وتعالى بذلك فقال: **(يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)**(٣١) فالعلم والمعرفة والطاعة للمعصوم أفضل وأجمل زينه .

إنّ طاعة أهل البيت عليهم السلام والتسليم لأوامرهم يحفظ الإنسان من كل ضلال؛ ذلك لأنّهم مطهّرون ومنزهون من كل ذنب وزلل.

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: "سلّموا الأمر لله ولأمر وليه فإنّكم لن تضلّوا مع التّسليم"(٣٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمدٍ وآله الطاهرين .

الهوامش:

١- تفسير الصافي/ الفيض الكاشاني/ مؤسسة الهادي/ قم المقدسة/ الطبعة الثانية/ ١٤١٦ هـ - ١٣٧٤ش / ٣/ ٣١٥ .

٢- عن كامل التّمار قال: قال أبو جعفر -صلوات الله عليه-:"يا كامل، تدري ما قول الله: (قد أفلح المؤمنون) قلت: جعلت فداك أفلحوا وفازوا وادخلوا الجنة، قال: قد أفلح المسلمون إنّ المسلمين هم النجباء " بصائر الدرجات/ ٥٤٠ فالإمام -صلوات الله عليه- هنا عرّف الإيمان بالتسليم لأنّه شرط قبول الإيمان .

٣- قال أبو عبد الله -صلوات الله عليه-:" لو أنّ قوماً عبدوا الله ووحّدوه ثم قالوا لشيء صنعه رسول الله ﷺ لو صنع كذا وكذا ووجدوا ذلك في أنفسهم، كانوا بذلك مشركين ثم قال: "فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" قال: هو التسليم في الأمور " بصائر الدرجات/ ٥٤٠ وعن أمير المؤمنين-صلوات الله عليه-:" الدين شجرة أصلها التسليم والرضا " عيون الحكم والمواعظ/ ٤٦ .

٤- عن أبي عبد الله -صلوات الله عليه-: "من سرّه أن يستكمل الإيمان كله فليقل: القول مني في جميع الأشياء قول آل محمد، فيما أسرّوا وما أعلنوا وفيما بلغني عنهم وفيما لم يبلغني " الكافي/ ١/ ٣٩١ .

٥- عن سدير قلت لأبي جعفر -صلوات الله عليه- " إنّي تركت مواليك مختلفين يتبرأ بعضهم من بعض قال فقال: وما أنت وذاك، إنّما كُلِّف النّاس ثلاثة: معرفة الأئمة، والتّسليم لهم فيما ورد عليهم، والرّد إليهم فيما اختلفوا فيه " الكافي/ ١/ ٣٩٠ .

٦- عن أبي جعفر -صلوات الله عليه- في قول الله تعالى: (وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) قال: الاقتراف التسليم لنا والصدق علينا ولا يكذب علينا " بصائر الدرجات/ ٥٤١ .

٧- سورة الأنبياء/ الآية: ٢٣ .

٨- قال الله تبارك وتعالى: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) سورة النساء/ الآية: ١٣ .

٩- كامل الزيارات/ محمد بن جعفر بن قولويه/ ت ٣١٧هـ/ تحقيق الشيخ جواد القيومي/ مؤسسة النشر الإسلامي/ الطبعة الأولى/ عيد الغدير١٤١٧هـ / ٤٤١ .

١٠- المصدر نفسه/ ٤٤١ .

١١- سورة طه/ الآية: ٨٢ .

١٢- عن النبي ﷺ أنه قال لعلي -صلوات الله عليه- في حديث: "ولقد ضل من ضل عنك ولن يهتدي إلى الله من لم يهتدِ إليك والى ولايتك وهو قول ربي - عزوجل - (وإنّي لغفار...) ... إلى ولايتك " بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار/ ٢٤/ ٦٥ .

وعن الإمام الباقر -صلوات الله عليه-: "...فو الله لو أنّ رجلاً عبد الله عمره ما بين الركن والمقام ثم مات ولم يجيء بولايتنا لأكبّه الله في النار على وجهه " بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار/ ٢٤/ ١٤٩ .

١٣- بصائر الدرجات/ محمد حسن الصفار/ ت ٢٩٠هـ/ تحقيق الحاج ميرزا حسن كوجه باغي/ مطبعة الأحمدي/ طهران/ ١٤٠٤ هـ - ١٣٦٢ش / ٢٦ .

١٤- سورة البقرة/ الآية: ١٨٩ .

١٥- سورة النساء/ الآية:٦٤ .

١٦- الفيض الكاشاني / ٣/ ٣١٥ .

١٧- سورة طه/ الآية: ١٨٢ .

١٨- سورة المائدة/ الآية: ٢٧ .

١٩- الكافي/ ١/ ١٨٢ .

٢٠- سورة الكهف/ الآية: ١٠٦ .

٢١- سورة الكهف/ الآية:١٠٣-١٠٤ .

٢٢- سورة الأحزاب/ الآية: ٢١ .

٢٣- قال تعالى: (وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنةٍ عرضها السموات والأرض أُعدت للمتقين) سورة آل عمران/ الآية: ١٣٣ .

٢٤- عن أمير المؤمنين عليه السلام: " النّاسُ ثلاثة فعالمٌ رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركنٍ وثيق " تحف العقول/ ١٦٩ .

٢٥- عن أمير المؤمنين عليه السلام: "الرياءُ إشراك" عيون الحكم المواعظ/ ٣٦ .

٢٦- شرح أصول الكافي/ المولى محمد صالح المازندراني/ ت١٠٨١/ تحقيق الميرزا أبو الحسن الشراني ـ ضبط وتصحيح السيد علي عاشور/ الطبعة الأولى/ ١٤٤١هـ ـ ٢٠٠٠م / ١/ ١٨٢.

٢٧- ميزان الحكمة المؤلف: محمد الري شهري، ١٤١٦ هـ. ق التحقيق: دار الحديث الناشر: دار الحديث المطبعة: دار الحديث الطبعة: الاولى/ ٥/ ١٤٩٨ .

٢٨- المصدر نفسه/ ٥/ ١٤٩٩ .

٢٩- عيون الحكم والمواعظ/ علي بن محمد الليثي/ تحقيق: الشيخ الحسيني البيرجندي/ مطبعة دار الحديث/ الطبعة الأولى/ ص٩٥ .

٣٠- ينظر وسائل الشيعة/ الحر العاملي/ ت ١١٠٤/ تحقيق مؤسسة آل البيت ـ عليهم السلام ـ لإحياء التراث/ مطبعة مهر/ قم المقدسة / الطبعة الثانية/ ١٤١٤هـ / ج١٦/ ص٣٦ .

٣١- سورة الأعراف/ الآية:٣١ .

٣٢- علي بن محمد الليثي/ المصدر السابق/ ص٢٨٥.

الإمامُ الحَسَنُ المُجتَبى عليه السلام

الحسن المجتبى

شعراء أهل البيت عليهم السلام

الشيخ عبد المنعم الفرطوسي

الشاعر الشيخ عبد المنعم الفرطوسي -رحمه الله- (١٣٣٥ ـ ١٤٠٤ هـ)

اسمه ونسبه: هو الشيخ عبد المنعم بن الشيخ حسين بن الشيخ حسن الفرطوسي، و(آل فرطوس) فخذ من عشائر (الغزي) من (بني لام) .

ولادته: وُلد الشيخ عبد المنعم الفرطوسي سنة ١٣٣٥هـ، في قرية من قرى قضاء المجر الكبير بمحافظة العمارة (ميسان) في العراق، وسط عائلة علمية دينية عريقة.

نشأته: نشأ وتَرَبَّى بمحيط ديني في عائلة علمية ملتزمة، فكان والده من فضلاء عصره وكان من الصلحاء الأتقياء، وكان جدّه - الشيخ حسن - فقيهاً عالماً محققاً، ومرجعاً للتقليد في أواخر أيامه عند سواد العراق، وبعد ولادته بقليل عاد والده إلى النجف الأشرف ومعه وليده الجديد، حيث اهتمَّ بتربيته تربية دينية صالحة .

ثم فُجِعَ عبد المنعم بوالده، وكان عمره آنذاك اثني عشر عاماً، وبعد وفاة والده الشيخ حسين كفله عمه الشيخ علي الذي أولاه عنايته .

وفي الخامسة عشرة من عمره لبس العمامة، وأخذ على عاتقه مسؤولية إعالة عائلة والده الكبيرة .

دراسته: لقد منَّ الله -تعالى- على الشيخ الفرطوسي بنعمة الذكاء المفرط، والذاكرة القوية، فمنذ نعومة أظفاره حفظ القرآن الكريم، ومجموعة كبيرة من القصائد الشعرية الغَرَّاء، وتوجَّه لدراسة العلوم الدينية، فدرس المقدمات على يد والده الشيخ حسين- رحمه الله-، وحينما بلغ الخامسة عشرة من عمره أخذ يدرس علم النحو والصرف، والعَرُوض والمَعَاني، والبَيَان والمَنطِق، والأصُول والفِقه والكَلام، حتى أتقنها جميعها، بل درَّس أكثرها وهو لايزال في مرحلة الدراسة، ثم توجَّه بعد ذلك إلى دراسة سطوح الفقه والأصول، حتى برع فيها وتقدَّم على أقرانه، ثم حضر دروس مرحلة البحث الخارج في الفقه والأصول .

أساتذته: إنّ من أشهر أساتذته:

١ - آية الله العظمى السيد أبو الحسن الموسوي الإصفهاني-قدس سره- .

٢ - آية الله العظمى السيد عبد الهادي الشيرازي-قدس سره- .

٣ - آية الله العظمى السيد محسن الحكيم-قدس سره- .

٤ - آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي-قدس سره- .

٥ - آية الله الشيخ مهدي الظالمي-قدس سره- .

خُلقه وسيرته: تجسَّدت في شخصيته المثالية وسلوكه الأخلاقي الرفيع تعاليمُ الإسلام السمحاء وقيمه المُثلَى، فقد كان الشيخ الفرطوسي شديد التّواضع، مع سموِّ مكانته العلمية، وهذا لم يكن عن تكلُّف وتصنُّع، بل هو مترسِّل إلى أبعد حدٍّ، في سَيْره، وجلسته، وتواضعه، وحسن خلقه، ووداعته، مع احتفاظه باتِّزانِ نَفسي، وعِزَّةٍ، وإباءٍ، جعلته محترماً في نفوس الناس، وأما عن ورعه وتقواه، فقد كان مثالاً يحتذى به في الزهد والصلاح .

مؤلفاته:

١ - ديوان الفرطوسي، وهو في جزأين، فقد اقتَطَفَ الشيخُ الفرطوسي -رحمه الله- من نتاجه الشعري الضخم بعض القصائد وثبَّتها في الديوان، بينما تناثرت قصائده الأخرى في الصحف والمجلات .

ويبلغ عدد أبيات الديوان بجزأيه (٧٣٨٥ بيتاً)، توزَّعت على أكثر من مئة وثمانين قصيدة ومقطوعة شعرية .

٢ - ملحمة أهل البيت عليهم السلام، وهي ملحمة شعرية تقع في(٤٠٢٨٢ بيتا)، وطُبعت عام (١٩٧٧ م) في ثلاثة أجزاء .

وفي سنة (١٩٨٦ م) - أي بعد وفاة الشاعر بثلاث سنين- طبعت الملحمة بكامل أجزائها الثمانية .

٣ – الوجدانيات، وهي مجموعة شعرية مخطوطة .

٤ – الفضيلة، رواية شعرية من الأدب الحزين في ثمانين صفحة، ويبلغ عدد أبياتها (٦٠٠ بيتاً)، وقد فَرغَ مِن نَظمِهَا سنة (١٣٦٦ هـ) .

٥ – أرجوزة شعرية في المنطق، وهي في مائة بيت تقريباً .

٦ – شرح موجز لـ(حاشية ملا عبد الله) في علم المنطق .

٧ – شرح شواهد (مختصر المعاني) للتفتازاني .

٨ – شرح (كفاية الأصول)، للشيخ محمد كاظم الخراساني .

٩ – شرح (الرسائل الأصولية)، للشيخ مرتضى الأنصاري .

١٠ – شرح (رسالة الاستصحاب)، من رسائل الشيخ الأنصاري .

١١ – شرح مقدّمة البيع من كتاب (المكاسب) للشيخ الأنصاري .

وفاته:

توفي الشاعر الشيخ عبد المنعم الفرطوسي –رحمه الله– في ١٤ صفر سنة(١٤٠٤ هـ) في أبي ظبي، وقد نقل جثمانه الى العراق ودفن في مدينة النجف الأشرف، عن عمر ناهز (٧٠ عاماً)، قضاهُ في العلم والزهد والأدب .

وقد كان لنبأ وفاته –رحمه الله– وقع أليم، وأثر عميق في نفوس العلماء والأدباء في العالم الإسلامي أجمع ..

ومن روائع شعر الفرطوسي في أهل البيت ﷺ قصيدة «**مولد الزكي**» التي نظمها في مولد الإمام الحسن المجتبى ﷺ وهي من أجمل قصائده الولائية وأروعها ديباجةً وبياناً ومنها هذه الأبيات:

سموت بفكري فالتقطت الدراريا ... ونسقتها في سلك شعري قوافيا
وقطعت أوتار الفؤاد نوابضاً ... ولطفتها حتى استحالت أغانيا
وأسرجت من روحي ذبال عواطف ... أطلّت على الدنيا شموعاً زواهيا
هنالك بعثرت الدراري فتارةً ... أرصع ثغر الدهر فيها أمانيا
وطوراً أزفّ العاطفات عرائساً ... وأجعلها باسم الولاء نثاريا
ورحت لهاتيك الأغاريد من فمي ... وقد عطّرته من شذاها غواليا
أوقعها لحناً من القلب خالصاً ... واسكبها خمراً من الحب صافيا
وأنثرها في مولد السّبط بهجةً ... لآلي أفراحٍ تنير الليالیا
أزف بها للمرتضى خالص الولا ... وأحمل للزهراء فيها التهانيا
تفتحت الأكمام عن كل مبسم ... يعطّر بالأنفاس حتى الأقاحيا
وأشرقت الأضواء من كل بسمة ... تلاطف بالبشرى الضحى المتهاديا
ورفرفت الآمالُ فوق خمائل ... من النفس أضحت للأماني مراعيا
وأسفرت الأستار عن كل جلوة ... لبكر من الأشعار تسبي الغوانيا
وساد الهنا حتى اكتسى أفق السما ... ووجه الثرى برداً من اللطف ضافيا
وأزهرت الدنيا بنور مبارك ... أطلّ عليها بالبشائر زاهيا
تلألأ في بيت النبوة مشرقاً ... من الحسن الزاكي ينير الدياجيا
إمام الهدى من ذروة العرش نوره ... تنزّل كالقرآن بالحق هاديا (١)

الهوامش:

(١) الفرطوسي، عبدالمنعم: ديوان الفرطوسي، الطبعة الثانية، مطبعة الغري الحديثة، النجف، ١٩٦٦م؛ الفرطوسي، عبدالمنعم: ملحمة أهل البيت عليهم السلام: الطبعة الثانية، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام: بيروت، ١٩٨٦م.

السلام عليك يا محمد بن الحسن علي

الحسن

يا كريم أهل البيت